المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثامن عشر بعد المئة

March 1931 — مارس سنة ١٩٣١

محنة الادب المعاصر

للاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي

يجمل بنا ونحن على عتبة النصف الثاني من القرن العشرين، أن ألقي نظرة عاجلة على تراثنا الأدبي في السنوات الأخيرة. فماذا نجد في هذا التراث؟ وأية مثالية له؟ وأية رسالة؟

حقًّا إنه من العسير بمكان الإجابة، إجابة موفقة مفصلة، وإنما يمكن القول اجمالاً بأن انتاجنا الأدبي الأخير دار معظمه حول الامتاع، وأهدف قليله إلى غرس الثقافة والالمعية، وندر منه ما عبّر عن آمال العصر وآلامه وأشواقه، ودفع إلى ركب التقدم ودنيا الحضارة. فهو في رأينا أدب متخلف عن عصره، مذبذب في هدفه، أشبه بالسفينة فقدت قائدها، واعترك راكبوها في موج زاخر، ورياح عاصفة، وسماء عابسة كدراء.

ثمة طوفان من الانتاج المنحرف، يهدد الغرائز، ويخدر الأعصاب، وثمة فيض من أدب البهرجة والزينة، يسمّم المشاعر، ويشل الأذهان، وركام من الأدب القديم ينقل الى أبناء القرن العشرين في وشاحه العتيق، وأصداء من دنيا الأموات تُرددها أبواق في عالم الأحياء، وزفرات يصعدها المنطوون في سماء مصر الصافية، وجوها الوضاء، وهمهمات من الترب تهتف بها ببغاوات من الشرق، ووسط هذه جميعاً، قد نجد نفحات أدبية منعشة للمشاعر والعقول، وقد تقع على بذرات نقية تحاول أن تخرج من ظلمات التربة إلى أضواء الوجود.

ويمكن تقليب البصر في فروع الأدب المختلفة، من مقال أو شعر أو نقد أو ترجمة

للأشخاص ، أو قصة أو مسرحية،لتشيد هذه الظاهرات الشعبية ، متكئة على تراثنا الأدبي المعاصر .

فالمقال في أدبنا المعاصر ، مع استثناءات قليلة ، سطحي في فكرته ، تافه في مادته ، مضطرب في هدفه ، كأنما قد انعكست عليه بلبلانية الصحافة المتأرجحة ، أو غني في لفظه فقير في معناه ، كنسيج المنكبوت البديع ، احتمل ذبابة ميتة .

والشعر يتراوح بين كلاسيكية جفرية ورومانتيكية مريضة ، لا إصابة إلا في النادر ولا طرافة ولا جرأة ، وهذا ملموس في الدواوين التي صدرت مؤخراً في عام ١٩٥٠ (باستثناء ديوان ليالي القاهرة) ، وفيما نشر في المجلات الأدبية من قصائد تحمل روح التداعي ، وصياغتهم ، ولا تمت لروح العصر بأي نسب.

وحال النقد ، مع قلته أكثر سوء ، إذ يضم الى غرور التعالم ، التحامل والطوائية إلى أحكام مطلقة متألقة مضللة للشباب المتأدب ، ومثل هذا النقد لا ينصف أمة انتاجاً أدبياً ، ولا يدفع إلى خلق جديد .

وأغلب النتاج الروائي والقصصي ، مع كثرته ، مشغل ملؤه بالافتعال ، تدور تجاربه حول الحب الساذج ، والعاطفة المصطنعة ، والذات المنطوية ، والشهوة العارمة ، فضلاً عن وهن الأساليب ، وركاكة الصنعة ، ولسنا في حاجة إلى ذكر شواهد محددة على هذه الحقيقة، فرجعة إلى المجموعات القصصية الأخيرة ، وإلى قصص الصفحة الأخيرة من صحفنا اليومية ، تكشف عن هزال هذا الانتاج الوفير الفقير .

ومع هذا ، فقد شعّت وسط هذا الركام الأدبي المظلم ، مصابيح تهتز بالضياء حملها بعض أدباء الشيوخ والشباب على السواء ، استهدى بأضوائها الجيل الحاضر ، واتخذها مشعلاً ، لرحلته الشاقة . ونذكر على سبيل المثال كتابات الدكتور طه في مثل كتبه «ذكرى أبي العلاء» وحديث الأربعاء ، والفتنة الكبرى» وما جرت به براعة الدكتور هيكل في مجلة السياسة الأسبوعية وفي مثل كتابه « ثورة الأدب » .

وما دبجه الأستاذ أحمد أمين في «فجر الاسلام وضحاه » ، و« زعماء الاصلاح » وما نثره العقاد والمازني في بداية حياتهما الأدبية ، من مثل « الفصول » و «ابن الرومي» و«حصاد الهشيم» ، وابراهيم الكاتب وغيرها من التآليف،وما أثاره الأستاذ اسماعيل مظهر من فكرات اجتماعية جريئة . وما نفثته ريشة الدكتور منصور في مثل كتابه « الميزان

الجديد » وما طعّم به الأدب الاستاذ محمد خلف الله من نظرات تحليلية وسيكولوجية . وما تغنى به الدكتور أمير شادي زرناجي والسيد ابو صالح جردت ، وما أخرجه محمود المليجي من ترجمة لبعض أعلام الحرية ، وما زرعه بعض كتاب الرواية والقصة القصيرة من ثمار طيبة ، ونذكر منهم محمود تيمور ونجيب محفوظ ومحمود البدوي وعادل كامل ، والحجاوي والسحّار وقراب والشاروني وغيرهم . وما أخرجه توفيق الحكيم في فن المسرحية والرواية ، مما يعد نتاجاً جديداً في هذين الفنين .

وقد كان لطائفة من البحوث الجامعية الأدبية السليمة أثر مذكور في تكميل الثقافة المصرية ، والكشف عن تطورنا الفكري ، فضلاً عن أن الترجمة من الانجليزية والفرنسية والروسية كان حدثاً مهمّاً في تلوين هذه الثقافة لوناً جديداً ، وتوجيه الأفكار إلى ميادين أدبية رحبة ، ونذكر من المترجمين المصريين المتازين «الشباشي وعباس حافظ والمنفلوطي ومحمد بدران وحافظ عوض والريات والمازني وزكي نجيب محمود ، وغيرهم كثيرون أغنوا الأدب المصري بترجمات موفقة ، في الأدب الخالص ، وفي فن القصة .

والملحوظ أن كثيراً من هذا الانتاج وشبهه أخرج منذ ربع قرن مضى ، وقليله في السنوات الأخيرة ، وان طائفة من مثقفينا سكنت في الوقت الحاضر عن الانتاج ، وما أخرج كان مقصوراً على تزويد البيئة المصرية بالثقافة كرياضة فكرية دون أن يكون لها هدف في توجيه الحياة الحاضرة ، وتنمية الوعي الاجتماعي والقومي ، ومجاهدة الفوضى السائدة في المجتمع ، وفي المعتقدات والآراء .

وأما أكثر انتاجنا منذ عشر سنوات ، فهو كما ذكرنا في صدر هذا المقال ، إنتاج سقيم ، قوامه إمتاع الغرائز ، أو بعث الأدب العتيق من رقاده العميق ، أو الهيام في أودية الأحلام ، والعيش في الابراج العاجية ، دون تنبه إلى ما يعج به المجتمع المصري من أحداث ، وما يدف به من آمال وآلام وخوالج ، ونزوع الى التحرر الفكري والاجتماعي ، والتجاوب مع الروح الديمقراطي الوثاب . وهذا في رأيي تخلف خطر ، واستخذاء بالعصرية ، وخيانة أدبية لا تغتفر .

*

ومن الألم حقّاء أن الرواد ومن قدامى من الأدباء المتازين الذين خدموا الثقافة قد هزل انتاج بعضهم في الفترة الحاضرة ، أو جدب نهائياً ، لاعتبارات سياسية أو صحية أو معاشية أو نفسية أو اجتماعية ، ولهذه الظاهرة الأدبية آثارها الوخيمة الخطيرة .

فقد أدبر الدكتور هيكل عن ميدان الأدب وانصرف بكليته في ميدان السياسة الحزبية. وقد كنا نعلق على جهوده آمالاً وآمالاً. وكف الدكتور زكي مبارك عن التأليف الرصين واقتصر على شوارد مسموعة يدبجها في صحيفة البلاغ اليومية، تضم ذكرياته الصحيحة وبدواته الغريبة وصباباته الزهرية — وودع الأستاذ ابراهيم المصري رسالته الأدبية والنقدية بالنظر لحالته الصحية، وكتبي بتسجيل خواطره الطائرة في مجلة أخبار اليوم السياسية — وهجر الدكتور أحمد زكي أبو شادي بيئته الجحود، ففقدت بلاده بهذا الهجرة وكناً وطيداً من أركان التعاون الادبي، وتباعد الرائد الكبير عبد الرحمن شكري عن حقل الشعر، وقصر جهده على بحوث شهرية يدبجها في « المنتطف » تحت امضاء ع . ش. واجتوى المتاذ بحوزته الأدبية الرصينة، وكفر بمبادئه الحرة الأولى وتوزع قصه بين السياسة الحزبية العمياء، والأدب الصحافي، وكان آخر العهد به ديوانه « بعد الأعاصير » الذي شُيِّعَ بتراتيل الأفول الخافتة.

وفقدت القصة القصيرة علمين من أعلامها هما الأستاذان يحيى حقي وطاهر لاشين، إذ طلقها طلاقاً رجعيًّا بل بائناً على ما نعلم، وخيّب الحكيم اليوم آمال الصفوة فيه، إذ دار في فلك الصحافة، فنزل مستوى انتاجه الحاضر، عما كان قبلاً، نزولاً مشجيًّا، ففقد الجاليون روائعه الفنية، أمثال شهرزاد وبجماليون والقصر المسحور وغيرها، وحرم الواقعيون آثاره الواقعية الأمثال « عودة الروح » و « يوميات نائب » « وأهل الكهف » وما إليها، وكتابه الأخير مسرح المجتمع، شهيد على ذواء فنه.

*

وسكن شعراء الحركة الابتداعية سكوتاً آلياً، وعجزوا عن مسايرة روح العصر الجديد اللهم إلا ومضات تغطي عليها الظلمات، فوقف حسن الصيرفي عند رومانتيكيته غارقاً في أحلامه وألحانه الضائعة، اللهم إلا قلقات واقعية شهابية، وقنع صالح جودت بأغانيه المخدرة هائماً كالفرفور في دنيا الزهر، وهجر محمود حسن اسماعيل نفثاته الأدبية الأولى، والإعراب عن مرائي الحياة في الريف، شاطحاً في عالم المجهول ودنيا اللاشعور، وركد مختار الوكيل، وخيّب تأملنا في أنجاب نقدي وشعري مقدور وأخلد سيد قطب إلى الرجعة والتعصب للتقاليد مجاهداً كل نزعة عصرية جديدة، وتحول الدكتور رمزي مفتاح عن جادة النقد الأدبي إلى عالم الروح وميدان الرياضة.

وهكذا انكمش هؤلاء الأدباء وغيرهم شيوخاً وشباناً عن الخلق الأدبي الجديد مؤثرين السلامة، والهرب من المشوليات الأدبية المعاصرة، تخلا الجو من المرهوبين،

النوابغ وسمح لهم بالظهور. الأدب الحقيقي يبدد كثيراً من المتطفلين والمهرجين والمتسلقة، إذا استثنينا قلة من الأدباء المجيدين يحاولون مناضلة الأدباء المنحرفين في ثبات وثبات وصبر.

ولقد التمس المفكرون تعريفاً لمحنة الأدبية الحاضرة، فرأى بعضهم أن «مشكلة الخبز» هي أس المحنة، على حد قول المثل الفرنسي «قبل أن تتفلسف يجب أن نعيش» وأرجع بعضهم العلة إلى «معضلة النشر» لأن أغلب أصحاب دور النشر لا يعتنون إلا بانتاج ذوي الأسماء الرنانة، وإن كان غثاً، ويهملون انتاج الشباب الصاعد.

وعلل آخرون أسباب المحنة بذيوع الصحف المربحة بما تنشر من توافه، وما تزخر به صفحاتها من مواد مخدرة، وما تطعم به العقول من أكاذيب، والمقالات نازلة، وما تقيمه من سدود في وجه الأدب الرفيع، بفضل المحررين الآليين، أو أنصاف المتعلمين الذين يعملون بها حتى صرح أحدهم بأن الأدب مادة كمالية تستخدم في الصحافة لملء الفراغ.

وردّ الكثيرون مصدر العلة إلى عدم وجود المنبر الحر في هذه البلاد، وإلى تغافل الدولة عن إنصاف الأصال الأدبية الممتازة، ومعاونة الأدباء معاونة جدية، على حين أنها لا تبخل بالمال، على كثير من رجال الصحافة والمرتزقة.

وهذه التعليلات وأمثالها مع وجاهتها، في تعويق الحركة الأدبية المعاصرة، ليست عوامل جوهرية في الأزمة الأدبية الحاضرة، فما كانت مشكلة الخبز في عهد من العهود، سبباً في محنة الأدب أو فتن الأدباء عن الانتاج الصالح، لأن الأدباء الأصيلين يرتفعون دائماً على البأساء، وقد يرحب بعضهم بها، ويجد في جنباتها، وحياً لأعمالهم الأدبية الخلقة.

وأما النشر فهو مشكلة حقاً، ولكن يمكن التغلب عليها بتعاون الأدباء مع بعض الأغنياء المتنورين لتسهل على إذاعة النتاج الأدبي الجديد. وتكريس الجهد في هذه الناحية المجزية مالياً وأدبياً، ويمكن انتهاز دور النشر الانجليزية، مثلاً حيث يهتم بعضها بالأدب الكلاسيكي، وبعضها بالأدب الروائي، وبعضها بالكتب العلمية، وبعضها بالأدب العصري المتقدم.

وليس من العسير أيضاً، التغلب على آثار الصحافة الحاضرة، ومستواها النازل، بايجاد مجلة أدبية راقية، أو أكثر جديرة بمكانة هذه البلاد. يقوم على تحريرها صفوة من النوابغ المؤمنين برسالة الأدبية المعاصرة، وتعمل على تزويد القارىء بالموضوعات العصرية المتنوعة، والتجاوب مع الأذواق المتباينة، والعناية بمشكلات المرأة والفلاح والعامل وغيرهم. وقد قامت مجلة «الكاتب المصري» التي اختفت مع الأسف بشيء من

هذا النشاط ، وعسى الممكن اعادة مثيلاته ، إذا وجدت العوامل المساعدة ، ونحن لا نشاطر بعض الأدباء مخاوفهم من أن يعالج مثل هذه المجلات الأدبية عسر ، لأن مآل الأدب الحي الانتصار في النهاية ، ولأن مرد المجلات الأدبية الحاضرة يرجع إلى نشر الموضوعات الثانية والمطروقة ، أو العتيقة المتخلفة ، أو الخيالية الجنحة التي لا تمس بالحياة .

ولا يعز المشير الحر على الأدباء الشجعان في البلد الديمقراطي ، فالمشير ينال ولا يرهب ، وليله ميسور لأولئك الذين يعرفون الأصول الدستورية ، ويؤمنون بحرية الفكر ، ولا يخافون سخط المتسلطين ، ولا حنق المتزمتين ، ولا سطوة القادرين .

وأما تقاعل الدولة عن معاونة الأدب والأدباء معاونة ايجابية ، فأمر من السهل معالجته بتعاقر الأدباء على افهام رجالات الدولة حقوقهم ، وتقدير كفايتهم ، ووجوب توفير الفرص لهم ، فتقدير ذوي الكفاية والأقلام المتحررة خدمة للديمقراطية الحقة ، التي تستمد قوتها وتستهدف اعزاز ذوي الفضل والمعرفة .

فليست محنة الأدب المعاصر إذن براجعة إلى العوامل الخارجية التي ذكرناها قريباً ، بل هي كما قلنا عوامل يمكن التغلب عليها ، وانما مصدر العلة وأصل البلاء ، هو في الأدباء أنفسهم ، وفي بلبلة مبادئهم ، وقصور ثقافتهم ، ووهن خلقهم ، فالملحوظ في الآونة الحاضرة أن اغلب أدبائنا ، ان لم نقل جلهم ، لم تتبلور لهم مبادىء اجتماعية وقومية وانسانية ، ولم يدينوا بروح الديمقراطية الحقة ، والوطنية الحارة ، والحضارة القويمة . ولهذا نجد انتاجهم مبلبل الاتجاه منحرف الغاية ، لا يبغي بشعر صالح لجيل ، فتفر كفر بالطير العام ويباع نفسه للصحافة المضللة ابتغاء الغنم المادي والشهرة الطائرة ، وتفر اختطفته المنفعة ، فعكف على عبادة الأقوياء والتسبيح بآرائهم ، وتفر هام بنفسه ، فوقف قلمه على الاعراب عن مشاعره الذاتية ، وهواجسه النفسية . ولمة أخرى قنعت بثقافة قديمة محدودة ضيقة ، وأبى عليها مركب النقص التزود من الثقافة العالمية الخصبة ، والتفاعل معها ، فلم تنجب جديداً ، ولم تزهر ثمرة ، وعلى عكسها ، كركبة استمرأت التغذي على فتور الأدب الغربي فعاشت عليه عالة ، وأخذت تنفث في الجو الأدبي مقولات غريبة لا تمت بأية صلة لروح الجماعة المصرية . وطائفة غير هؤلاء ركبها الغرور والتعالي ، وانعزلت عن الأدباء ، عائشة بحياة مترفة ، في مجتمع يعج بالألم والشقاء والمرارة .

•

وهذه الفئات المتباينة من الأدباء ، لا تربطها نازعة المحبة ولا الاخاء وإنما تسيرها نوازع القطيعة والتنابذ والجفاء ، كجماعة من القطط في زكيبة مقفلة ، تعض بعضها بعضاً ،

وتقاتل بعضها البعض الآخر !

ولم تعدم البيئة الأدبية ، رغم هذه الظلال القاتمة ، قلة من رجالها ، تغلبت على العوائق الخارجية التي أسلفنا ذكرها ، وتغلبت من الانحرافات الباطنية ، ونشرت من خلال إنتاجها الأدبي أضواء تنير معالم الطريق للجيل الجديد .

ويحضرنا من هذه القلة ، أمثال الدكتور طه حسين ، والأستاذ سلامه موسى ، والدكتور أحمد زكي أبو شادي ، والأستاذ محمود تيمور ، وفريق من الشباب الصاعد يعمل في صمت وتفان وإيمان كعدوة النقر ، تخرج لناس الحرير ، وتفنى فيه .

فلم تقف جهود الدكتور طه على نشر الثقافة ، وتربية الذوق الأدبي ، بل وقف في الظلمات يرسل أضواء المعرفة ويعابث بقلمه وجه الظلم العبوس ، ويهتف في عمود الطغيان هتاف الحرية ، وينادي بالعدالة الاجتماعية ، وكتابه « المعذبون في الأرض » صيحة من صيحاته الذكية .

وامتلأ الأستاذ سلامه موسى مبادىء الحرية وفي السجن الطويل الذي حمل فيه القلم وبث خواطره الصالحة لإيجاد ثقافة موجهة ، وتوليد الأفكار العصرية المتحررة ، وتأليفه المدة في الاجتماع والأدب والسيكولوجية ، والعلم المبسط ، آية على مثالية الرجل ، وإيمانه برسالة اجتماعية واعية ، يحاول أن يبثها في شباب الجيل ، ويبلور بها وجهات نظره في اعتناق العصرية .

ولم يقف الدكتور أبو شادي لحسن الحظ ، على ما ترك وراءه من كنوز أدبية وفكرية ولم تقعد به هجرته الى نيويورك عن الانتاج فإن جهوده الأدبية والفكرية مطردة هناك ، وإن كانت مقصورة على عدد من صفوة المفكرين ، وديوانه الأخير : « من السماء » وقفاته في « صوت أمريكا » شهيدة على نشاطه الجم وفكره اللماح الوثاب — ولا يفوتنا أن نذكر بالخير جهود الأستاذ محمود تيمور المتواصلة في القصة القصيرة وفي المسرحية التاريخية ، ونزعته الواقعية في مجموعة قصصه الأخيرة « كل عام وانتم بخير » وفي مسرحيته الممتازة « حواء الخالدة » وغيرها وهذا مما يحملنا على الافتخار بانتاجه الحاضر والاستبشار بأدب موجه قابل .

ومما يملؤنا غبطة أن نجد انتفاضات تسري في صدور الشباب الصاعد لتوسيع آفاق الأدب الحاضر ، وتوديع المرحلة الرومانتيكية التي قطعها أدباء النصف الثاني من القرن العشرين ، وذلك بالتوجه الى المجتمع ، والاعراب عن آماله وأشواقه ونوازعه ، والارتفاع على التيارات المنحرفة التي تجري فيه ، ومحاولة جهاد روح الهزيمة السائدة وتحويلها إلى روح ثقة وتفاؤل وانتصار ، وبمعنى آخر هجرة الفردية الأدبية واعتناق الجماعية .

فلئن رأينا الشاعر الجيد محمد متيد الشرباشي ، ينعى في مثل قصيدته «أنا والمجتمع» إلى ترك روح الانكماش والانطواء ، والانغماس في موكب الحياة الزاخر ، وفد أنشأ مجلة «الأديب المصري» هو وبعض الشباب المتوقد أمثال لويس عوض وعلي الراعي وعباس صالح وشعبان وعاشور وغيرهم منادين بأدب التفاؤل والقوة وخدمة المجتمع ، ومحاربة الأدب الذاتي والأدب الجنسي ، وأدب التسلية والتخدير .

ورأينا شاعراً شابًّا ينادي بمثل هذه الدعوة في ديوان صدر مؤخراً يهيب بشعراء الحاضر أن يتركوا دنيا الخيال والأوهام ، وعالم الزهر والطير والاندماج في ذيب الناس ، في مثل قصيدته « الشاعر التائه » حيث يخاطبه بقوله :

أنت تخلو إلى النجوم إلى الزهـــر إلى الطير حينما تتغنى
دع جمال الخيال وادخل كهوفاً للذاتين زادو لتكون منا
إنما الفن دمعة وطيب ليس هذا الخيال والتيه فنّا

ووقفنا على بعض القصص لشباب الطليعة تحاول ابراز الحياة المصرية على حقيقتها ، ولكنها قصص قلائل مبثوثة في الأدب الحاضر كحفنة من الماس في ركام من الزجاج المهشم.

*

ولكي نخرج من المحنة الأدبية الحاضرة ، فلزام علينا التخلص من رواسب أدبنا الكلاسيكي العتيق ، الذي يعيش في أذهان الادباء كشجرة الجميز العتيقة العابسة ، وان تتغير نظرتنا إلى المجتمع ، فندرك أن مجتمع اليوم غير مجتمع الأمس . فمجتمع اليوم لا يهتم بالحياة العامة ، وقد انتابته أعراض وانحرافات لم يعرفها مجتمع الأمس ، فثمة بطالة فكرية ، وذبذبة خلقية ، وخلخلة شعورية ، ونزعة جموحة إلى الانطلاق ، وبالتالي نجد فريقاً لا يثبت على رأي أو فكر أو مبدأ ، وفريقاً متحيراً بين المثالية والوصولية ، وفريقاً مبذل الحس لشعوره بعدم الأمان ، والخرف وما اليهما .

وهذا المجتمع المضطرب يحتاج الى الأديب الحقيقي لملاحظة ما يضطرم به من نزعات مختلفة ، ووجهات متناقضة ، تمثل هذه الاتجاهات الجديدة والخروج من متناقضاتها بحلول سليمة مؤدية الى الخير العام .

فأولئكم الأدباء الذين يكتفون على بعث أدب الماضي في العصر الراهن ، إنما يقدمون شراباً قديماً في زجاجات جديدة ، ولن ينتفع به الجيل الحاضر لتباين الاتجاه واختلاف المزاج ، وأولئكم الذين ينفثون في الحاضر ، نزوات صدورهم وأفئدة قلوبهم ، لن يجدوا

عند البرجوازي يصنف عليهم أو يتخذ خاصة أن مفكرين وأولئك الذين يعتبرون من الغرب أدباً وجودياً سلبياً باليأس والفوضى، أو أدباً كلاسيكياً متمسكاً بالترف والتبرجز، أو أدباً سريالياً من بنات البارانويا، إنما يريدون أن ينشروا في البيئة المصرية بلبلة على بلبلة، ويطلقون من لفائفهم الملغمة دخاناً مخدراً للمشاعر، خانقاً للأذهان.

فكيف السبيل إذن لازدهار أدب جديد؟ هذا هو السؤال الذي نحاول الاجابة عليه والجواب مشوت في ثنايا هذا المقال، ويمكن تركيزه في أن الأدب لم يعد متعة أو تسلية بل صار عنصراً فعالاً في التوجيه الفكري والاقتصادي والسياسي، وهذا الأدب هو الذي أقام النسبيات، فلابد إذن من توسيع آفاقه في مصر، فلا يقف الأديب جامداً على الاطراب عن ذاته، ومشاعره الخاصة، وغرائزه. بل عليه أن يتناول مشكلات الحياة من جميع نواحيها، وحالة المجتمع لامكان التلاؤم مع مستحدثات العلم والثورة الصناعية، والمعاني الجديدة لحقوق الانسان على ان يكون تناوله لهذه الموضوعات تناولاً فنياً لا تقريرياً كما يفعل كتاب الصحف. وتتقيد بالفنية رعاية قواعد الصنعة في الكتابة سواء أكان موضوعها مقالاً أم شعراً أم قصة، أم ترجمة لشخوص، مع مراعاة التفاوت في أصول الصناعة الفنية لكل من هذه الفروع الأدبية وليس هذا مجال بيان هذه الأصول. ولكن يمكن القول، في كلمات، إن المقال مثلاً في تناوله ومادته يختلف عن القصة. فالمقال الفني يمتاز بالطرافة أو الجرأة مع توصيل المعرفة توصيلاً قوياً نفاذاً، والقصة الفنية لا تعنى بالمعرفة لذاتها، ولا لغاية مقصودة لناحية من النواحي الاجتماعية أو التاريخية أو الاقتصادية أو الفلسفية، وإنما تأتي بالحقائق الاجتماعية أو الفلسفية أو غيرها بطريقة لا تطغى فيها الحقائق على الفن. والا كانت أشباه قصص أو مجالات اجتماعية أو تاريخية أو فلسفية.

ولهذا يهمنا في هذا العدد ان ننبه الى الخطأ الشائع في تضمين القصة وقائع لا تحتملها، لغاية أو هدف مقصود، وذلك على حساب الفن، أو الاقتصار على تصوير مظاهر الحياة المادية وحدها دون نظر الى مظاهر الحياة المختلفة، فكرية أو اجتماعية أو روحية

فالوسيلة اذن لازدهار الأدب هو توسعة أفقه وشمول واقعيته، أو بمعنى آخر ان يحتضن الأدب الجديد ما يدور في الحياة من واقعات واحداث، وما يحدث في جوانح الناس من عواطف وانفعالات ونوازع نتيجة لاحداث المجتمع وهذه هي النظرة المتكاملة التي ننبه إليها.

ولكي نصل الى هذا الأدب المتكامل في نظرته، لا مفر من وجود الأديب الملتزم في مبادئه اجتماعية كانت أو قومية أو خلقية، الأديب ذو الثقافة الناضجة المرشحة، الأديب هو الشخصية الفنية، الذي يصدر في عمله عن ضمير حساس واخلاص حقيقي، فمن هذه

الشخصية بنهج الأدب النسيج الأصيل ، وشاهد ذلك قول الأديب الفرنسي الجبير فوبير زوجة موبسان : — « إن صاحب الشخصية القوية يظفر بالإصالة ويسلك طريقة خاصة في الرؤية والشعور بمرور الزمن »

ولا نحتاج بعد هذين السطرين إلى بيان ، وتقاء الشخصية إلا آل الأدب النسي في معاملة بعضنا بعضاً ، والتعاون الحق بجمع الخواطر الأدبية الجديدة لتكوين النهضة الأدبية المرموقة فنكون كجماعة النحل التي تسعى كل واحدة في طريقها ، ووفق إلهامها ، حاملة ما في صوتها من جني نافع لها ولجماعتها ، لتودعه مسكن الجماعة ، دون أن تعرقل واحدة أختاً لها ، أو تقف في طريقها ، بل كل تعمل في إخلاص وتفان لمعاونة الجماعة

ويمثل هذا التعاون الذي نجده في جماعة كاملة الغريزة مثل هذه الجماعة المتواضعة ، يمكن إقامة صرح الأدب الجديد ، والخروج من هذه المحنة الحاضرة .

والأمل وثيق في أن يتأهب أدباؤنا الموهوبون للعمل الشاق المرتقب منهم ، وأن يشعروا غيورهم إلى يجب ما يتطلبه الجيل الجديد من أدب جديد ، يصور الحاضر ويبني المقابل ، أدب يدرس الحياة المعاصرة من جميع وجوهها ، موطنين العزم الصارم على مواجهة ما قد يقف في وجوههم من عقبات كأداء يقيمها المتزمتون ، أو المترفون أو المتوسون أو أعداء الحرية والتقدم .

وبعد فهذه كلمات عابرة في أدبنا المعاصر ، طالما فيها أسباب المحنة الأدبية المعاصرة ووسائل علاجها ، وما أمدنا أدباء الطليعة المتازون من ثقافة ، وما نشر علينا المأذون من أدب تطريب وإطراء وخدر للشاعر والعقول ، وما وصل إليه بعض أدبائنا من ردة وانتكاس بسبب ضغط البيئة ، وتفاعلهم مع سيئاتها ، وقد سجلناها على هذه الصفحات في عنف حيناً وفي لين حيناً آخر ، ولا نرى في عنفنا إلى التهجم على أحد فما حملنا يوماً موجدة لإنسان ، وإنما نرمي إلى وجه الأدب الحبيب الذي وصل إلى خريفه في هذه الأيام ، آملين أن نجد من الموهوبين المغمورين ، ذوي النفوس الصافية ، والثقافة الناضجة ، عملاً جاداً مخلصاً لتخطيط نهضة أدبية مرموقة جديرة بمكانة هذه الأمة وأعرافها الأصيلة .

[المقتطف] يرحب بنشر ما تجود به قرائح هؤلاء الكتاب الموهوبين المغمورين من ذوي النفوس الصافية والثقافة الناضجة ويرجو أن يتعاون أدباؤنا تعاوناً وثيقاً على خدمة الأدب . وأن لا يقف الناشرون في وجه انتاج الشباب الموهوب ، والأمل معقود على معالي وزير المعارف في العمل على إنصاف الأدباء والعناية بانتاجهم ، وأن تلقى صيحة الكاتب الأديب قلوباً واعية وآذاناً صاغية .

الخواص الوراثية

لدم الانسان

للأستاذ اميل توفيق

يتألف الدم من سائل أصفر باهت يقال له المصل ، ويحمل هذا السائل ما يناهز وزنه من الكرات الحمر . وتنقل تلك الكرات الاكسجين من الرئتين الى سائر الاعضاء . ويتجلط الدم عادة في بضع دقائق ، على أن بعض المواد الكيميائية تمنع هذا التجلط . ويمكن فصل الكرات الدموية عن المصل وذلك برج الدم في آلة طاردة مركزية كما تفصل القشدة عن اللبن . وبفصل كل منهما عن الآخر ، يصبح من الممكن أن تمزج الكرات الدموية لشخص ما بمصل شخص آخر ومشاهدة النتيجة تحت الميكرسكوب .

فماذا يحدث إذا أضيفت كرات دموية لدم ما إلى مصل دم آخر ؟

لقد وجد أن حالتين اثنتين تحدث نتيجة هذه الاضافة : أولاهما أن تظل الكرات الحمر تتنقل في أنحاء السائل ، مثلما كانت من قبل ؛ وثانيتهما أن تترسب الكرات بعضها على الآخر على شكل كتل مترسبة . وعندما يحدث هذا تجد السائل يتلوّن باللون الأحمر كالحبر . وسبب ذلك هو أن جدران هذه الكرات الدموية تتشقق فينفجر منها السائل الأحمر أو الهيموجلوبين وتتجمع الجدران الخاوية بعضها على البعض كما ذكرنا ، وقد فقدت الكرات قيمتها الحيوية . ترى متى تحدث الحالة الأولى ، ومتى تحدث الحالة الثانية ؟

وجد البروفسور لاندستنر أن في كرات دم كثير من الناس مادتين سماها (اب)[1] ووجد أن كرات بعض الناس تحمل المادة (ا) وسمي دمهم بالنوع (ا) . وكرات بعضهم تحمل المادة (ب) وسمي دمهم بالنوع (ب) . وكرات البعض تحملها معاً فسمي دمهم بالنوع (اب) . وكرات البعض الآخر لا تحمل أيًّا منهما وسمي دمهم بالنوع (صفر) — وبذلك يتميز لنا أربعة أنواع للدم . ولكنه وجد شيئاً آخر في المصل .

(١) Agglutinogen (B) , Agglutinogen (A)

فالدم من النوع الأول (أ) ، يحمل مصله مادة مضادة للمادة (ب) . والدم من النوع الثاني (ب) ، يحمل مصله مادة مضادة للمادة (أ) — والنوع الثالث (أ ب) لا يحمل مصله مواد مضادة على الاطلاق — وأما النوع الرابع صفر ، فان مصله يحمل النوعين المضادين : المادة المضادة لـ (أ) والمادة المضادة لـ (ب)

النوع	المواد في الكريات الحمر	المواد في المصل
(أ)	(أ)	مضادة للمادة (ب)
(ب)	(ب)	« « (أ)
(أ ب)	(أ ب)	لا شيء
صفر	لا شيء	المادتان المتضادتان

والآن هب أن دمك من النوع (أ) وأراد أن ينقل منه إلى دم مريض من النوع (ب) فماذا يحدث ؟ إن كريات دم الواهب التي تحمل المادة (أ) تتلفها المادة في مصل الدم ب ، وبذلك لا تعود فائدة ما من نقل هذا الدم .

وكذلك العكس إذا كان دم الواهب donner من النوع (ب) ودم المريض الموهوب recepient من النوع (أ). والواجب إذن أن يكون دم الواهب ودم الموهوب من نوع واحد.

ولكن ماذا يحدث لو أضيف دم من نوع صفر الى النوع (أ) أو النوع (ب) ؟ الواقع إن هذا النوع مفيد في كل حالة من حالات الدم ، ويسمى هذا النوع بالدم العالمي ، ويسمى حامل هذا النوع بالواهب العالمي universal donner ذلك لأن كرياته الدموية لا تحمل مادة ما ، فهي إذن لا تتأثر بالمواد المضادة الموجودة في مصل الشخص الموهوب . هذا من ناحية ، أما مصل هذا الدم فقد يقال إنه قد يتلف بمضاديه المضادتين كريات الشخص الموهوب ، ولكن الواقع أنه لا خوف من ذلك إذا كان تيار الدم مخففاً إذ يسري المصل مع تيار الدم في الشخص الموهوب بغير أن يحدث شيئاً في كرياته الحمر . وتزداد في دمه كريات الدم من النوع صفر ، وبذلك يفيد انتقال الدم اليه .

وهذا هو هناك بعض الحالات التي فيها يحدث التلف من إضافة هذا الدم ، ومن أجل ذلك يراعى أن يكشف عن أنواع الدماء المختلفة ولا سيما للجنود في الحرب .

وقد أصبح كشف النوع الذي ينتمي اليه دم طفل نتن الأطفال شاهداً في بعض الأحوال لبنوته عندما تكون موضع شك . فاذا تنازع اثنان على أبوة طفل ما ، فان نتيجة التحليل لدم الأم والطفل وهذين المتنازعين قد تشير إلى أن أحدهما لا يمكن أن يكون أباً

للطفل، ويؤخذ من استبعاده أنه ابن للثاني ولكن تحليل الدم لا يؤخذ منه أبداً بأن الثاني أب لهذا الطفل. فهو لا يثبت الأبوة ولعل الجدول التالي يفسر لنا سر ذلك.

نوعا الدم للوالدين	النوع المحتمل توارثه في الأبناء
صفر × صفر	صفر
صفر × ا	صفر، ا
صفر × ب	صفر، ب
ا × ا	صفر، ا
ا × ب	صفر، ا، ب
ب × ب	صفر، ب
ا × اب	ا، ب، اب
ب × اب	ا، ب، اب
اب × اب	ا، ب، اب

وليست هذه الأنواع على درجة واحدة من الانتشار. فالنوع (ا) أكثر انتشاراً في غرب أوربا عن شرقيها، في حين أن النوع (ب) على عكس (ا) تماماً وأقل منه انتشاراً. وقد يستدل من نسب وجود هذه الأنواع على تدعيم الفرض القائل باختلاط الشعوب البدائية، في عصور ما قبل التاريخ كما يسترشد بها كأحد الشواهد في تعيين مراكز هجرات هذه الشعوب. فالنوع (ا) تفرق نسبته نسبة النوع (ب) في الشعوب التي تعيش بين روسيا الغربية والصين واليابان. أما نسبة النوع (ب) فهي تتفوق في الهند، وفي شمال الصين ومنشوريا هذا وبين معظم النرويج وسكان الملايو malayalans، والهند الأقصى نجد أن نسبة النوع (ا) تكاد تكون مساوية لنسبة النوع (ب) وتكاد تتساوى مع نسبة النوع صفر.

أما الشعوب التي تظهر فيها نسبة النوع صفر عالية فوق النسب الأخرى فهي الشعوب المنعزلة أو سكان الجزر النائية مثل جزر الفلبين، ومثل زنوج بشوانا، وسكان استراليا الأصليين.

وقد وضعت نظريات عديدة لتعليل هذا التعدد في أنواع الدم الانساني. ومن بينها نظرية تفترض أن النوع صفر هو النوع الأصلي البدائي لدم الانسان، وأن النوعين (ا، ب) ظهرا، كصورتين من صور التحول الفجائي، أو ما يسمى في الوراثة

mutation — (ا) في أوربه ، (ب) في الهند ومزاج الاجناس ظهر النوع (ا ب) في السلالات الناشئة ولكن فساد هذا الفرض تقرره حقائق متناقضة .

على أن البحوث التي يقوم بها علماء الانثروبولوجيا (علم الانسان) تؤدي الى رأي عام وهو أن هذه المظاهر أو phenotypes إن هي إلا نتيجة لعوامل الوراثية الموجودة فيما يسمى genes على الكروموسومات في الخلايا . وهو ما تنصب دراسته في الوقت الحاضر .

وقد أدى البحث الحديث الى اكتشاف مجموعات أخرى للدم ، لا علاقة لها بالمجموعات أ ، ب ، ا ب ، صفر .

فقد اكتشف العامل (م) M والعامل (ن) N كصفتين من الصفات الوراثية التي تتوارث مستقلة عن (ا ، ب) . أما التجربة التي أدت الى كشف هذين العاملين فأساسها حقن الأرنب بدماء مختلفة ، وبحث ما يستقر عنه التفاعل في مصل الأرنب . وقد وجدت اختلافات في تفاعل المصل باختلاف نوع الدم المحقون .

وقد اكتشف حديثاً عامل آخر يسمى Rh في تجربة حقن فيها أرنب بدم القرد المسمى Rhesus monkey ، كان التفاعل الحادث هو أن مصل الأرنب كون مادة مضادة anti-Rhesus body ومن خصائص هذه المادة أنها ترسب الكرات الحمر للقرد Rhesus ثم وجد بعد ذلك أن هذه المادة المضادة ترسب الكرات الحمر لـ ٨٥ ٪ من الناس (ذوي البشرة البيضاء) ولذلك سموا Rh-positive الايجابي أما الـ ١٥ ٪ الباقون ممن لا يترسب دمهم بهذه المادة فسموا Rh-negative السلبي

وفي ظروف ثلاثة يتفاعل مصل الناس من النوع الثاني Rh-negative التفاعل المماثل لتفاعل الأرنب . فاذا نقل الى دم مريض من هذا النوع دم من النوع الايجابي ، فقد يكون المريض لمادة المضادة في مصله وقد تحلط هذه المادة كراته الحمر ، وتردي بالحياة . كذلك إذا حملت امرأة من ذات الدم السلبي Rh-negative وكان جنينها دم من النوع الايجابي الذي توارثه من أبيه فقد تتكون المادة المضادة في مصلها . وهذا يحدث لحسن الحظ بنسبة قليلة من أحوال الحمل الذي توجد فيه مجموعات Rh

وليس لهذه المادة تأثير ما على الأم ، ولكنها تؤثر في الجنين وقد تحلط كرات دمه ، وفي حالة ما يكون التأثير هيناً فقد يولد الجنين ولكنه يصاب بفقر الدم ، وقد وجد أن مثل هذه الحالة تعالج بعملية نقل دم من النوع السلبي الى دم الطفل .

وحدة القصيدة

في الشعر العربي

للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي

ما معنى وحدة القصيدة ؟

١ — نقرأ معلقة امرىء القيس : قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل » ، ولامية مروان بن أبي حفصة : « طرقتك زائرة فحي خيالها » ، ورائية ابن الجهم :

عيون المها بين الرصافة فالجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

ونهج البردة لشوقي : « ريم على القاع بين البان والعلم » .

فنجد ألوانا شتى من الأغراض ، وتباينا في الشاعرية حيال كل غرض ، واختلافا واضحا في كل قصيدة في الشعور والعاطفة والخيال .

٢ — ثم نقرأ قصيدة أبي تمام في فتح عمورية ، أو قصيدة ابن الرومي في رثاء ولديه ، أو مرثية أبي العلاء : —

غير مجد في ملتي واعتقادي نوح باك ولا ترنم شاد

أو نونية ابن زيدون ، أو تائية ابن الفارض الكبرى : —

سقتني حميا الحب راحة مقلتي وكأسي محيا من عن الحسن جلت

أو قصيدة البديع في وصف الأسد :

أقاطم لو شهدت ببطن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا [1]

---

(١) مقامات البديع ص ٤١٨ — ط ١٩٣٢ — المقامة البدرية

أو قصيدة شوقي « أخرية الشراء » : —

في مهرجان الحق أو يوم الدم صيح من الشهداء لم تتكلم

أو قصيدة الزهاوي : « روض الشعر »[1] أو قصيدته : « عند الفراق »[2]

نقرأ هذه القصائد وما شابهها ، فماذا نجد ؟

نجد وحدة في الغرض ، واتفاقاً في القافية ، والتئاماً في العاطفة والخيال والفكرة ، وتبدو القصيدة كأنها عمل فني كامل ، لا نقص ولا تشويه ، ولا غرض أو اعتراض . . وتقف أمام الجمال الفني الآخاذ ، يضيء ويسحر ، كما يضيء الفجر ، ويسحر البحر ، ويروع ويعبق روعة السحر ، وعبق الزهر .

هكذا نشعر من أعماق قلوبنا وأذواقنا بالوحدة في القصيدة ، والجمال في الفن .

٣ — فنحن نريد بوحدة القصيدة أن تكون تعبيراً متميزاً ، في فكرة واحدة ، قد أتى بها لغرض واحد . إنما نريد مع ذلك كله تلك الوحدة الفنية التي يجب أن تسود القصيدة كلها ، بما تشتمل عليه من شاعرية وخيال وعاطفة وأسلوب . حتى تشعر بروح الشاعر في قصيدته ، ونرى ذكاءه وبراعته في التوفيق بين الصور والأشكال والظلال والألوان ، وحذقه في ايقاظ الحياة والروعة في ألفاظه وأساليبه ، وأفكاره ومعانيه ، وعواطفه وخيالاته . حتى لتنطق الصورة ، وتتحرك الحياة فيها ، وتغني الوحدة في أجزائها ، ويسودها الانسجام والنظام والالتئام ، كما نجد في وصف البحتري لايوان كسرى ، وفي مرثية البحتري للمتوكل ، وفي وصف شوقي لقصر « أنس الوجود » ، وفي آثار أخرى في شعر كثير من الشعراء في القديم والحديث . . . وقد أشاد الأدباء المعاصرون بابن الرومي وشعره ، لهذه الوحدة الفنية النادرة في قصائده وأوصافه .

إننا نمزج في وحدة القصيدتين الوحدة الفنية ووحدة الفكر ووحدة الموضوع أو الغرض كما يقال . ونرى ذلك كله لازماً لاستيفاء القصيدة حظها من الانسجام والجمال . . . والذين يتحدثون عن وحدة الأغراض الشعرية وحدها في القصيدة حين يتحدثون عن وحدتها ، إنما ينظرون الى أظهر عناصر الموضوع فحسب ، وإن كان اتحاد الشاعرية أدق ما في وحدة القصيدة من عناصر وحقائق .

وحول الوحدة الفنية للقصيدة يقول صاحب كتاب « ثورة الأدب » : « ليس

(١) ديوان الزهاوي ص ٢٥٨ — ط ١٩٢٤ (٢) المرجع نفسه ص ٣٤٤

القصد من الشعر في رأينا هو محاكاة الأقدمين ، إنما القصد من الشعر إبراز فكرة أو صورة أو إحساس ، أو عاطفة يفيض بها القلب ، في صيغة مشتقة من اللغة ، تخاطب النفس ، وتصل الى أعماقها ، من غير حاجة الى كلفة أو مشقة » (١)

وحول هذا المعنى الذي أردناه من وحدة القصيدة يدور الحاتمي الأديب الناقد المتوفى ٣٨٤ هـ ، إذ يقول(٢) : « مثل القصيدة مثل الانسان ، في اتصال بعض أعضائه ببعض ، فهي اتصل واحد عن الآخر ، وباينه في صحة التركيب ، غادر الجسم ذا عاهة ، تتخون محاسنه ، وتبقى معايبه » . . ويسير جل الشعراء المجيدين ، من متقدمين ومحدثين ، في هذه الناحية ، فيقول : « وقد وجدت حذاق المتقدمين ، وأرباب الصناعة من المحدثين ، يحترسون في مثل هذا المقال احتراساً يجنبهم شوائب التقصان ، ويقف بهم على محجة الاحسان ، حتى يقع الاتصال ، ويؤمن الانفصال ، وتأتي القصيدة في تناسب صدورها وأعجازها ، وانتظام تسيبها بتديحها ، كالرسالة البليغة ، والخطبة الموجزة ، لا ينفصل جزء منها عن جزء . . . وهذا مذهب اختص به المحدثون ، لتوقد خواطرهم ، ولطف أذكارهم ، واتساع البديع وأفانينه في أشعارهم . وهو مذهب سهلوا حزنه ، ونهجوا دارسه » .

والحاتمي في شرحه هنا لوحدة القصيدة محتم مجيد : ولكنه يرى أن اتصال الغزل بالمديح في القصيدة لا يمنع وحدتها ، مادام هذا الاتصال قويًّا شديداً . فكأنه لا يرى تعدد الأغراض في القصيدة مانعاً من وحدتها . . وهذا ما نخالفه فيه ، ولا نقره عليه .

نظام القصيدة في الشعر العربي القديم

ترى أشهر القصائد الجاهلية قد بدئت بالنسيب المذيب الجميل ، ثم يتصل فيها النسيب بذكر الناقة ووصفها وكرب الفلوات عليها ، وقد يلم الشاعر بوصف ما يشاهد في الصحراء من أسراب الوحش والظباء ثم يتخلص إلى غرضه المقصود ، من مدح أو هجاء ، أو فخر ، أو عتاب ، أو اعتذار ، أو حكمة .

يظهر ذلك النهج الجاهلي في المعلقات ، وفيما سواها من كبريات القصائد وعيونها ، في هذا العصر البعيد . . ولا نجد شاعراً يشذ من ذلك إلا عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته

(١) ثورة الأدب للدكتور ميكل ص ٦٠
(٢) زهر الآداب جزء ٣ ص ١٦ — لزكي مبارك

المشهورة : « ألا هبي بصحنك فاصبحينا » ، فقد بدأها بوصف الراح ، ثم وصل ذلك بغزله وتخمره ووصف وقائع قومه وذكريات مجدهم القديم الخالد . وهناك قصائد ثلاث من الشعر الجاهلي تمتاز بخلوها من تعدد الأغراض :

أولاها — قصيدة المرقش الأكبر .

سرى ليلاً خيال من سليمى فأرقني وأصحابي هجود (١)

فهي وقف على الحب والغزل ووصف الحال

والثانية — قصيدة لامية لطرفة العبدي ، مطلعها : —

أتعرف رسم الدار قفراً منازله كجفن اليماني زخرف الوشي ماثله

فهي كذلك وقف على الغزل .

والثالثة — قصيدة تأبط شراً الشاعر الجاهلي المشهور : —

إن بالشعب الذي دون سلع لقتيلاً دمه ما يطل (٢)

وهي في الرثاء ، وقد ترجمها « جوته » الى الألمانية ، ونشرها في الديوان الشرقي ، ونقلت الى الفرنسية والانجليزية والايطالية ، ويسميها بعض المستشرقين « نشيد الانتقام » وهي نمط جميل مهذب لوحدة القصيدة في الشعر الجاهلي ، وشتان بينها وبين قصائد الرثاء في هذا العصر السحيق . وحسبكم أن شاعراً أراد أن يرثي أخاه فبدأ قصيدته بالنسيب ، ثم خلص الى الرثاء ، وهو دريد بن الصمة النضيري الشاعر في قصيدته الدالية : —

أرثٌ جديد الحبل من أم معبد بعاقبة أم أخلفت كل موعد

هذا هو نظام القصيدة في العصر الجاهلي : تعدد في الأغراض والفكرة ، وانتقال من لون من ألوان الشعور الى لون آخر وقد يفاجيء الشاعر سامعيه مفاجأة ، فيتخلص من غنائه إلى التنويه بممدوحه فجأة ، كما صنع زهير في رائيته في مدح هرم بن سنان ، فقال بعد أن ذكر الديار :

دع ذا وعدّ القول في هرم خير البداة وسيّد الحضر (٣)

وقد يتخلص الشاعر في رفق وجمال إلى غرضه ، كما فعل النابغة في قصيدته العينية التي

(١) الحياة الادبية في العصر الجاهلي ص٢٥٣ — محمد خلفي — ط ١٩٤٨ (٢) الشعب : طريق في الجبل موضح — سلع : موضع وهو أرض قوم الشاعر . طل دمه : دمه هدراً لا يثأر به .
(٣) جمع حضر كراكب وركب .

يستذر بها إلى النعمان بن المنذر ، حيث ذكر نميمة ودسيعته وشيبه ، ثم خلص إلى الاعتذار فقال : —

ولكن ما دون ذلك شاغل مكان الشُّفاف تبتغيه الأصابع
وعيدُ أبي قابوس في غير كنهه أتاني ودوني راكس فالضواجع

ثم وصف حاله عند ما سمع وعيد النعمان ، فقال : —

فبت كأني ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السمُّ ناقع
يُسهدُ في ليل التمام سليمها لحلي النساء في يديه قعاقع[1]

ثم خلص إلى الاعتذار ، وهو الفن الذي نبغ فيه وشهر به فقال : —

أتاني — أبيتَ اللعن — أنك لمتني وتلك التي تستك منها المسامع

وهذا من لطف التخلص ، « ولو[2] توصل إلى ذلك بعض الشعراء المحدثين ، الذين واصلوا تقنيق المعاني ، وفتحوا أبواب البديع ، واجتنوا ثمر الآداب ، وتنحوا زهر الكلام ؛ لكان معجزاً عجباً ؛ فكيف بجاهل بدوي ، إنما يغترف من قليب قلبه ، ويستمد على هاجسه كما يقول الحاتمي الناقد القديم .. وهذا اللطف في التخلص لا نعني به لأنه يمنح القصيدة الوحدة الشعرية ، ولكننا نتحدث عنه لوناً من ألوان فطنة العرب في المعاني والأداء ، ولأنه كان تمهيداً لهذه الوحدة التي هي موضوع بحثنا . ويقول ابن رشيق في العمدة : وكانت العرب لا تذهب هذا المذهب — أي حسن التخلص — في الخروج إلى المدح ، بل يقولون عند فراغهم من نعت الابل ، وذكر القفار ، وما هم بسبيله : « دع ذا وعد عن ذا » ؛ ويأخذون فيما يريدون ، أو يؤثرون بأنّ المقصدة» ابتداء الكلام الذي يقصدونه .. ولربما قالوا بعد صفة الناقة والمفازة : إلى فلان قصدت ، وحتى نزلت بفناء فلان ، وما شاكل ذلك . فإذا لم يكن خروج الشاعر إلى المدح متصلاً بما قبله ، ولا منفصلاً بقوله « دع ذا وعدّ عن ذا ونحو ذلك » ، سمي مقرة وانقطاعاً[3] .

هذا هو نهج القصيدة عند الجاهليين ، ويقول الحاتمي في ذلك : فأما الفحول الأوائل

---

(١) راجع العمدة لابن رشيق جزء ١ ص ١٥٨ وزهر الآداب جزء ٣ ص ١٦
(٢) زهر الآداب جزء ٣ ص ١٧
(٣) العمدة جزء ١ ص ١٥٩

ومن قلائم من المخضرمين والاسلاميين فذهبهم أن يقولوا : « عدّ عن كذا إلى كذا »، وقصارى كل أحد منهم وصف ناقته بالمتن والنجابة والنجاء ، وانه منطاها فأوّرع عليها جلباب الليل ، وربما اتفق لاحدهم معنى لطيف يتخلص به إلى غرض لم يقصده ، إلا أن طبعه السليم ، وضراطه المستقيم ، قد نفى بشاره ، وأورقد باليفاع ناره [1] »

وقد تعصّب كثير من النقاد وعلماء الأدب ، لهذا النهج الجاهلي ، الذي لا يعدّ إن وحدة القصيدة بسبب، ودافعوا عنه دفاعاً حارّاً . يقول ابن قتيبة المتوفى ٢٧٦ هـ[2] : وعمت بعض أهل العلم يقول : إن مقصد القصائد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار ، والدمن والآثار ، فشكا وبكى ، وخاطب الربع ، واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها ، إذ كان نازلة العمد في الحلول والظعن على خلاف ما عليه نازلة المدر ، لانتجاعهم الكلأ ، وانتقالهم من ماء إلى ماء ، وتتبعهم مساقط الغيث حيث كان . ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الشوق وألم الوجد والفراق وفرط الصبابة ، ليميل نحوه القلوب ، ويصرف اليه الوجوه ، ويستدعي به إصغاء الاسماع إليه ، لأن النسيب قريب من النفوس لائط بالقلوب ، لما قد جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل وإلف النساء ، فليس يكاد يخلو أحد من أن يكون متعلقاً منه بسبب ، وضارباً فيه بسهم . فاذا علم أنه قد استوثق من الاصغاء إليه ، والاستماع له ، عقب بايجاب الحقوق ، فرحل في شعره ، وشكا النصب والسهر ، وسرى الليل ، وإضاء الراحلة والبعير ، فاذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء ، وزمام التأميل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره في السير بدأ في المديح ، فبعثه على المكافأة ، وهزّه على السماح . . فالشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب ، وعدل بين هذه الأقسام » .

وابن قتيبة هنا لا يبرر هذا النهج لأنه هو الحق في ميزان الأدب والنقد ، ولا لأنه هو الصورة المثلى للقصيدة الجاهلية ، ولا لأنه سبب من أسباب الروعة والجمال في الشعر والقصيد ، ولكن إنما يبرره لأنه نهج الجاهليين حسب .

وهكذا يفهم كثير من النقاد القدامى النهج الفني للقصيدة ، ووحدة القصيدة في الشعر العربي . وهو فهم لا يخلو من عصبية وجور .

[يتبع]

(١) زهر الآداب جزء ٣ ص ١٦

(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ط ١٩٣٢ ص ١٤ و ١٥

قصة

الصابرون

للاستاذ شكري شحاتة باشا

كان سالم الربيع لا يعرف لدنياه سوى هذه القطعة من الأرض ، يحرثها بذاته إذا جاء موسم الحرث ، ويحصد زرعها بذاته كذلك إذا جاء موسم الحصاد ، ثم ينام فلا يستيقظ إلا على وجه الشتاء .

ولكن حياته الفطرية هذه تلوّنت أخيراً بطارىء لم يلمّ به أو يلمّ بأرضه ، وإنما ألمّ بأرض جاره ، ولم يك ذلك لأنها انتقلت الى يد جديدة على غير توقع ، وإنما كان ذلك لأنها انتقلت الى يد شخص من هؤلاء المدللين الأعزاء على الظروف ، فهمّه ألا يكون هذا الجار الجديد من أشاله ، ثم أن لضيع على هذا النحو ارض من العشيرة .

وتعاقبت الأيام وهو يعيش على شيء من التشاؤم . ثم كان يوم فاذا هو يستقبل في بيته رسولاً وجيهاً ينهي اليه رغبة جاره في أن يبتاع منه ارضه . ونحن نصغي فنسمعه يقول لهذا الرسول : —

« لو أني أملك غير هذه الأرض لتقربت بها ، ولكنها دنياي جميعاً ودنيا هؤلاء الأطفال من بعدي . وأحسب صاحبك يقدّر ويعذر » .

ورأى أن يتشاغل فمال الى جراب بين يديه فيه شيء من التبغ ، فجعل منه لفيفة ثم أخذ يدخنها وبالله يطوف حول أرضه . إنها ليست بالشيء الذي يباع وأطفاله يعيشون ، هي تراث عريق منذ أيام الفاتحين ، وعليه كما ورثها من أجداده أولئك أن يورثها أبناءه هؤلاء من بعده .

طاف هذا بباله في ساعته تلك وهو بين يدي محدثه ذاك يجاس وفوراً ، وربما كان مع

ذلك ساخراً يضحك في سره من هذا الطمع لايتسع أفقه . وكم اضحك الفقر من الغنى شره لا يحس إلا نفسه . !

وحسب رسول التجار نفسه كان يعيش على شيء أو أشياء من شتى ما كان يعيش عليه سالم ، فقد كان يعرف أن ليس هناك ما يحمي الضعفاء إن شاءوا استمساكاً بحق أو دفاعاً عن حق ، فما يملكون وما يكسبون ينبغي أن يؤول الى هذه الطائفة الزائغة من الناس . ولو كان ذلك من السبل التي لا تعرف الضوء .

كان يعرف هذا كله ، ويعرف أكثر منه ، كان يعرف روح الشعب الغنية تنام على الفقر والبؤس ، ولا تفكر في حق وتسأل عنه ، ذلك بأنه لم يك بعيداً عن « المتنزح » ، فقد كان له دور يقوم به مع المشائين حين يشاءون ، ودور مع المنفقين الهاتفين حين يسفقون ويهتفون . وكان له من أجل هذه الشطارة نظر في تخطيط سبل الازدهار في البلد والبلد .

لسنا نريد إذن أو نبالغ حين نتصور أنه كان يضحك في مجلسه ذاك من هذا الفلاح الساذج ، ثم من صاحب السعادة موفده ثم من نفسه : يضحك من سالم وقد رآه اعتذر بحسب نفسه قاصراً على أن يستمسك بأرضه ، ويضحك من صاحب السعادة وقد رأى طمعه في أراضي الضعفاء يكاد يجري في سرعة الثور . ويضحك من نفسه ، إنه كالصياد المتعثر يلقي بشبكته وهو يعلم أن ليس له من حظ فيما يصطاد .

ومهما يكن من أمر هذا الرسول الوسيط فانما يعنينا أن نقف على جوابه . قال يرد على سالم : —

« إنك لتخطىء أكبر الخطأ برأيك هذا ، بل وتتعب نفسك وتحرمها من حظوظ قد تتاح لك حين تستجيب لرغبة جارك ، فأنت تعلم بصلته بمن تعرف سلطانه ، وتعلم ما أعطته هذه الصلة من قدرة على أن يؤلب عليك ، فلا يلقاك الجندي إلا عابساً ، ولا يلقاك الضابط أو يلقاك الحاكم أو أي من الأعوان إلا متجهماً ، فتتعثر خطاك حتى عند شيخ العشيرة وتصبح فلا تستطيع قضاء حاجة من حاجاتك . أما إذا تنازلت عن أرضك فأنت إذن قادر على أن تعيش كأعز انسان في العشيرة ، وقادر على أن تتزوج في أي وقت تريد ، ومن تشاء من هؤلاء الفتيات ذوات العيون الفاتنات عندكم ، فما زوجتك هاتان بشيء . ثم أنت قادر على أن تستبدل بهذا البيت المتهدم بيتاً جديداً ترفع رأسك عنده ، وتدل بهذه البسط والطنافس الجديدة تبتاعها من المدينة وتبسطها فيه للضيوف .

« ما أنا غير ناصح يريد لك الخير ، فاسمع لما أقول ولا تجعل فرصة العمر تضيع عليك

وبآخر فاشتر بثمن الأرض بعض المواليد من الغنم ، واعهد بها الى ولد من أبنائك يرعاها عند أطراف المياه حيث العشب الكثير ، فان فعلت ، بلغت أربحك منها أضعاف ما يأتيك من غلة أرضك هذه التي كانت منذ القرون الوسطى وما زالت تزرع ولا تستريح .

« ثم لا تنس حزمة القرى من جارك الجديد ، فأنت تعلم بأنها شيء عزيز يتسناه الشيخ نفسه ، ولا شيء يمنعك من أن تنال مثل هذا الحظ عنده متى شئت » .

وإذ فرغ مما أراد أن يزين للرجل رأيه رفع رأسه وتجه اليه بنظره وهو يقول فيما رد عليه :

« سمعت منك ، ولقد كان لي أن آخذ برأيك الى ما ذكرت من هذه الخطوط الطيبة لو أني استطعت أن أحلها من قلبي محل أرضي على صغرها وقلة جدواها . وما أخفي عليك فقد كنت أصغي اليك وكان في صدري شيء يحدثني معك بما يربطني بها منذ أزمان تتصل بآبائي الأولين ، وإلى أزمان تمضي مع أبنائي الحاضرين ثم تستقبل أحفادي القادمين . وإذا كان لي من رجاء شاكر فانما هو أن توفر عليّ وعليك » .

كان ذلك في عشية من عشيات النور الحالمة ، وكان قد بقي في نفس سالم الربيع شيء من حديث ضيفه ، فكان يتلفت نحو هذا الشيء بأفكاره يرسلها نحوم حائرة كالطير ضلت أوكارها ، وكلما تقدمت العشية واشتد الغسق ، هاجها الشوق إلى الاتجاه الصحيح .

ولكن الماضي لا يتركنا أبداً ، فنحن حين نحز بنا الأيام أو نقف على مفرق الطريق نراه يلمع في خواطرنا حيًّا ومن تلقاء نفسه ، فيمثل لنا سعيداً أو شقيًّا ، ويحدث الينا محرضاً أو منذراً ، وكالأطياف على الشاشة البيضاء نشهده يتحرك في مواكبه المثيرة .

واستطاع سالم في ليلته تلك أن يرى آباءه الماضين ، وأن يعايشهم فيتحدث اليهم ويتحدثون اليه ، ويفهم عنهم ويفهمون عنه ، وأن يتحسس منهم ذلك العيش الذي كانوا يعيشون عليه ، فيجده على بساطته تلك كان وديعاً راضياً مطمئنًّا ، وليس فيه هذا القلق الذي يعيش عليه الناس في يومه . وما أوهن الليل إلا قليلاً حتى كان قد عاد الى نفسه على هدى الأشباح .

وتمضي الأيام فاذا ساحب السعادة وعقبلته ينزلان على شيخ العشيرة ضيفين عزيزين ، وإذ يجيء أوان الطعام وتبسط المائدة السخية لا يمدان اليها يداً وانما يعلنان أن لهما حاجة عرضت ، وإن قضاها عند الشيخ ، فان هو فعل ، كان من طعامه وشكراله ضيفه .

ولم يكن للشيخ من سبيل إلا أن يستدعي سالماً ، وإلا أن يطلعه على ما كان ثم

(٣١) لقد صدق باسكال العالم الرياضي الفرنسي إذ قال اننا نعطف على من كان به اعوجاج في قدمه لسبب ما ولكنا لا نعطف على من كان به اعوجاج من فكره، لان الاول لا بد أن يعترف إذا مشى باعوجاج قدمه أما الثاني فانه ينكر اعوجاج فكره ويحاول أن يثبت اننا على اعوجاج في الفكر — ومع صحة رأي باسكال ينبغي ان لا نعطف مع صاحب الرأي المعوج وان نعطف عليه وان نعتقد أن ذلك من آفة في عقله كآفة القدم المعوجة أو كآفة العمى أو البكم وان نتذكر اننا أيضاً كثيراً ما يدفعنا التحيز والتشيع إلى الحكم بالباطل فيظهر اعوجاج فكرنا بالتحيز أو العاطفة وان كنا نأبه له.

(٣٢) إن للفكر أخيلة ومن أجل ذلك صار العلماء حتى الافاضل منهم لا يتحرجون من تضليل قرائهم وتضليل نفوسهم كي يثبتوا صواب فكرهم في أثناء بحثهم إما من شغفهم باثباته وإما النيل المدح من الناس ولكن سوء استعمال القوة الفكرية مكروه مثل سوء استعمال القوة البدنية وهم إذا وصلوا بعد ذلك إلى الصواب فهذا الصواب يكون مثل المهالك التي نزورها في الاحلام وقد نعرف أننا في أحلام إذا فكرنا في طريق الرحلة اليها (وهذا كما في قصة الباحثين عن المكروب) وإذا كان هذا شأن العلماء الافاضل في البحث العلمي فهو أحرى أن يكون شأن الناس عامة في حياتهم اليومية.

(٣٣) إن أهل الاستكانة تعوزهم الجرأة على طلب حقهم فاذا لم تقم أنت لهم بكل حقهم ركبت الشطط في معاملتهم وسهل عليك الظلم وانتصاب حقوق الناس والرغبة في استثمار جهودهم بأقل مما يقتضيه العدل إذ قد تعد استكانتهم دليلاً على نيل ما يستحقون، ولا أمر يتلف صحة رأي المرء في العدل مثل العيش بين اهل الاستكانة فاذا عاش بين غيرهم بعد ذلك ظهر ظالمه ودهش لظهور ظلم لم يكن يعتده ظلماً.

(٣٤) يقولون إن الكذب لا يصدق ولا يقبل لأنه لا أساس له ولا قوة فيه ولكن لكل كذبة وقت وميعاد وهوى في النفوس ولا يمنع من تصديقها أنها لا أساس لها وقد تكون لها قوة شر كثيرة مستمدة من قوة من يؤمن بها — : (وهذا يذكرنا قول تاكري إن الكذب قد يكون أصغر من النقطة ولكنها مع ذلك كالنقطة السائرة التي تحتل مكاناً كبيراً وترسم خطاً طويلاً).

(٣٥) قد يكون اليأس كالنوم يجدد قوى النفس والفكر ولكنه إذا صار عادة ونيراً أصبح شللاً لها.

(٣٦) كثيراً ما يؤدي الندم إلى اليأس من أداء الخير مع أن المفروض انه ينبغي ان

يؤدي إلى معاودته والتزمه وربما يؤدي إلى اليأس من أدنى خير لأنه يحسب أن ما جناه من الشر دليل على حياته كلها فيكون مثله مثل من يدع النقطة من السائل الأسود تغطي على جميع ثوبه بدلاً من ثلاثيها من أول ستوضاء أو كمن يجد سخرة في البحر أو حجارة في نقطة في جزء من الماء فيحسب أنها تدل على المادكله .

(٣٧) إذا أردت أن تقيم عصرك فاقرأ ما يكتب فيه من القصص فان المرء كثيراً ما يريد أن يختفي نفسه في نفس الناس كي يتمادى في وصف الرذائل وصفاً مغرياً يحببها إلى الناس وهو يزعم أنه ينبههم منها .

(٣٨) قد توضح حياة المرء ما التبس في قوله فهو يز التيلسوف الانجليزي الذي زعم أن الدولة هي كل شيء وان الناس إذ أنشأوا الحكومات أسلموا لها كل حق قد اعترف للورد كلارندون أنه إنما فعل ذلك كي يتحبب الى الحكومة فتسمح له بالعودة من منفاه ويبدو لي قد نشر رسائل لماكيافيلي يستعطف فيها بعض الأمراء ويتذكر اليهم سوء حاله ويقول فيها إن مبادىء الطغيان التي ذكرها في كتابه (الأمير) إنما ذكرها تزكية لأحاطم في الحكم وانه من أجل ذلك يستحق أن يعان على أمره بالمال كصدقة وقد زعم كتاب آخرون أن هؤلاء الكتاب إنما هالهم انقسام الآراء فرأوا أن للأمراء الحق في توحيدها صيانة للأمن وجلباً للوحدة بأية وسيلة حتى الوسائل العنيفة الشديدة (وذلك هو ما زعم ماكولي في رسالته عن ماكيافيلي) — وربما كان الناقصان موجودين في نفس القائل عند قوله ما ذكر .

(٣٩) إن من قلة العقل أن يرفض المرء كل لقف أو خطف وأن يسيء به الظن لأنه لا يعرف سببه والباعث له فانه يكون كمن يرفض ماء النهر لأنه لا يعرف منابعه .

(٤٠) بعض القواعد الأساسية في الشرائع لا يعمل بها الناس في حياتهم ومعاشرتهم بعضهم لبعض فالمبدأ الذي ينص على أن كل متهم بريء حتى تثبت إدانته لا يعمل به الناس وكذلك المبدأ الذي يشرع أن الشك ينبغي أن يجعل في مصلحة المتهم لا يأخذ به الناس في حياتهم الخاصة فينشأ عن ذلك قلة التسامح ولو عملوا بها كانوا أقرب إلى التقوى والتعقل والتدين

(٤١) لقد صدق جوتا إذ قال في قصة فوست (إن الذي يصمم على أن يعد غير مخطىء إذا كان ذا لسان ذرب وذلك لأن الطلاقة والمهارة في الكلام قد تهزم قوى ملكات العقل.

(٤٢) إن عمل الشر لا يتوقف على كبر شأن صاحبه ومع ذلك فان الناس كثيراً ما يظنون ان الرجل الحقير لا يستطيع عمل شر كثير حتى وهم متأثرون بما يقول أو ما يصنع من الشر.

تطور الموسيقى في سورية

خلال نصف قرن

— ٢ —

للأستاذ ميشيل اسطفان كيرو

قلنا في مقتطف الشهر الماضي ان طبقة خاصة في بلادنا كانت تتسم بسماح الموسيقى الجيدة، ومن أشهر المولعين بها المرحوم محمود البارودي، فقد كانت داره تغص كل ليلة بالموسيقيين، كالمرحومين عمر الجراح وعبد الله أبي حرب، ورشيد عرفه، ومحمود الكحال، ومحمد الجراح الذي كان أول كنعاني مسلم بدمشق وقد كان لهذه الحال تأثير خاص في ولده نجيب بك، فنشأ مغرماً بالموسيقى، راغباً في نشرها وترقيتها، وهو أول من أدخل الأناشيد الوطنية على الموسيقى في سورية، فنظم سنة ١٩١٢ « الى الحرب الى الحرب » ونظم في سنة ١٩١٤ « نحن جند الله شبان البلاد » ومن أغرب الأخبار عن تأثير هذا النشيد ان جمال باشا دعا رجال دمشق الى حفلة في النادي العربي فخطبهم وضرب على وتر العروبة فاهتزت نفوس الشبان وأنشدوا نحن جند الله، فكانت النتيجة تسريح ضباط المدرسة الحربية بدمشق وارسالهم الى قطعات الجندرمة في البادية بدلاً من الاعتماد عليهم في الجبهات، وقد أثبت جمال هذه النقمة في مذكراته، إذ قال: « لما ضربت على وتر العروبة تحرك الشبان وأنشدوا نشيداً حماسياً دل على الاحساسات العربية الكامنة في صدورهم، ومن شدة الحماسة والتعشيق، خلت ان سقف النادي أطبق على رأسي، فأمرت بتسريح ضباط الدورة الأولى خريجي المدرسة الحربية » وتم تسريحهم فعلاً صباح الحفلة. أما البارودي الذي كان السبب فيما جرى فقد أخذ جزاء عمله، تكديراً واضطهاداً من السلطة الحاكمة، وذماً وهزءاً من جماعة الناقمين، بيد أنه لم يثن عن عزمه، وهما قطعه على نفسه من عهد بنشر الموسيقى وتعزيزها. فلما انتهت الحرب العالمية الأولى، وتأسست في دمشق حكومة عربية، نظم نجيب بك أناشيد وطنية سارت على كل شفة ولسان، نذكر منها « بلاد العرب أوطاني » و« أنت سورية بلادي » و« سورية يا مهد السلام » واعتبر هذا الأخير

نشيداً وطنياً في عهد المغفور له الملك فيصل الأول وهو من تلحين الأستاذ متري المرّ وقد طبعه بالنوتة مع كثير من الألحان ، فمنها ما هو حماسي مفرح ومنها ما هو شجي محزن .

وفي خلال هذه المدة أدخل الأستاذ عمر الزعني الأناشيد الشعبية على الموسيقى العربية وأكثرها يدنو الى النقد والاصلاح ، نذكر منها « حاسب يا فرنك » التي كان لها أثر فعّال في تهيئة الأفكار الى ذلك ارتباط نقداً به ، وقد تبعه كثيرون في هذا الميدان .

ولعلّ أهم حدث في تاريخنا الموسيقي هو نجاح الفرقة التي قام بها نجري بك البارودي لانشاء معهد للموسيقى بدمشق ، فقد دعا الى داره في سنة ١٩٠٩ نحو مئة ذات من شباب هذا البلد ومفكريه بعد أن تحدث اليهم منيّاً ، ولكن أكثرهم لم يلب الدعوة فأدرك ان الوقت لم يكن قد حان ، ولكنه ظل دائباً حتى تمكن من جمع الهواة في دمشق ، فأسسوا تحت اشرافه نادي الموسيقى السوري سنة ١٩٢٨ . وما زالت أخباره وأعماله حديث الموسيقيين ، فقد بث تأسيسه نهضة فنية تذكر ، وأقبل كثيرون على تعلم النوتة والأنغام والأصول وشراء المؤلفات والألحان من مصر وتركيا ، وقد أحيا ذلك النادي بضع حفلات راقية أولاها على مدرج الجامعة السورية في أوائل سنة ١٩٣٠ فافتتحها بكلمة طلبت فيها الى الحكومة أن تخصص للنادي أرضاً ومالاً حتى يثبت ويتحول الى معهد عال كما جرى في القاهرة ، ولكن حكومة ذلك العهد قصرت وأخلفت ، ولو فعلت لكان عندنا اليوم معهد نفاخر به وأساتذة متخصصون نحتاج اليهم محطة الاذاعة والمدارس السورية .

وعلى أثر تلك الحركات ، تنبهت وزارة المعارف فأدخلت تعليم الموسيقى على هامش المنهاج الابتدائي وقلنا على الهامش ان التعليم الموسيقي في بلادنا ما زال يسير بشكل غير جدي فلا درجات تعطى على دروسها ، ولا مفتش لها ولا تحسين يدخل عليها ، فالتلاميذ يتلقون مبادئها بصورة شبه رمزية ، حتى ان جميع ما بذل من نفقات لهذه الغاية لم يأت بأية نتيجة عملية ، ولعل المعارف لحظت أن مدارسها لم تنجب موسيقيّاً واحداً لاسماً ، فأخذت تهمل هذا الفن سنة بعد سنة بدلاً من الاهتمام به ، والعلاج أن يكتفي في المدارس الابتدائية بتعليم الأناشيد الوطنية والأخلاقية ، وان تنقل بقية نفقات الموسيقى لتأسيس مدرستين ابتدائيتين تختصان بتعليم أصحاب الموهبة مع تأسيس معهد عال يجمع أساتذة هذا الفن مع الهواة لاستكمال ثقافتهم نظريّاً وعمليّاً عندئذ تنجب بلادنا نوابغ ينهضون بالموسيقى ويساهمون في توحيد نهضتها عالميّاً ، فلنس أمتنا خطورة الفوائد التي نجتنى من الاهتمام

بالنواحي النفسية ، لأن الفن شباب دائم الأمم ويسرنا أن نسجل هنا بتقدير ان الحكومة الحاضرة وافقت على تأسيس معهد للموسيقى تابع لوزارة المعارف الجميلة ، لأنها أدركت ان الموسيقى عامل هام في برامج الاذاعة فهي تجتذب المستمعين الى المحطة التي تضم نجوماً لامعة وتأتي بألحان جيلة ولا يخفى ان محطات أجنبية كثيرة شرعت في تخصيص اجزاء من برامجها للموسيقى الشرقية ونشر الدعايات باللغة العربية . وغني عن البيان إن ما يبثه الفن في النفوس من رقة وتهذيب ونظام يتناول كل ناحية من حياة الفرد والمجتمع ، فالأمة الراقية فنًّا تنظم شوارعها ومساكنها ، وتعنى بنظافة ملبسها ومأكلها ، حتى يتناول الفن والنظام كل صلى وصناعة ، يصل الى أساليب الحديث والمعاملات فتتسع تلك الأمة محبوبة محترمة، لأن الفن رابطة تؤلف بين الشعوب كما تؤلف بين الأفراد ، فاذا قويت تغلبت على الأطماع والأهواء .

ولعلَّ أهم تطور حدث في تاريخ موسيقى الشرق ، هو عقد مؤتمر الموسيقى العربية في القاهرة منذ ثماني عشرة سنة ، بفضل جهاد معهدها الملكي ، فضم ذلك المؤتمر الأول من نوعه نخبة ممتازة من علماء الموسيقى الشرقية ، من عرب وأجانب ، وطبع خلاصة أعماله في كتاب كبير حوى تقريراً هامًّا للمستشرق الدكتور هنري جورج فارمر ، وكم نود أن يتكرر عقد هذا المؤتمر في البلاد العربية حتى تتحقق الغاية المنشودة منه ، وقد أوفدت سورية اليه بعثة من العازفين لم يتسن لأحد من أفرادها أن يشترك بالبحوث الفنية ، ولم يغب ذلك عن البارودي نصير الموسيقى ، فتوسط لدى وزارة المعارف لايفاد الشيخ علي الدرويش على رأس البعثة ، فرفضت وساطته لأسباب حزبية ، ولكن المرحوم البارودي دعا لاحد أمين سر المؤتمر وهو الذي أسدى الى الموسيقى العربية يداً بيضاء بترجمة كتبها القديمة الى الفرنسية دعي عليًّا وأنابه عنه ، فاشترك بلجنتي الأصول والمقامات وأنجز جزءاً هامًّا من الأعمال.

ولئن كان ذلك المؤتمر الخطير قد قصر في أهم غاياته كتقرير السلم وضبط الأنغام بأسلوب علمي مقنع ، الا أن الفضل يعود اليه في بعث النهضة الفنية في البلاد العربية واستثارة همم أبنائها الى البحث في العلوم الموسيقية ، فتأسست أندية كثيرة تستحق التنشيط والتقدير ، وان كانت عاجزة عن السير بالفن الشرقي كما ينبغي لضعف مواردها ، وصدرت مجلات وكتب في مصر وسورية . وكان لدمشق القدح المعلى في هذا المضمار ، كما أثبتت شهادات العلماء والجامعات ، وأهم المؤتمرات والمؤسسات ، بيد أن انتاج دمشق لم يؤت ثماره بعد ، لأنه يحتاج الى اهتمام ومال ، حتى يترجم وينشر على العالم ، ولسوف

يؤدي البحث العميق فيه الى ابتكار آلات جديدة والى معرفة تطور المادة من صورة الى صورة ، والى مداواة اكثر الامراض بطريقة لا تخفى ، لان المرض خلق بطرأ على سلسلة التناسب الموسيقي ، التي بنى عليها كل عضو في الجسد ، فيداوي بتناسب يقومه في كل ما يؤثر في الحواس ، من أصوات وألوان وروائح وأدوية وغيرها ، فالموسيقى اذن متممة على تطور عظيم وسمت أسسه دمشق ، عندئذ يدرك الناس أن اتفاقهم على نظريات هذا الفن وتطبيقها عمليًا ، انما هو دعوة لاتفاقهم على كل قضية اخرى تسبب خلافاً بين الامم اذ أن الاتفاق على توحيد لغة الموسيقى هو الدرجة الاولى في سلم السلام ، ولئن دعي القرن الثامن عشر عصر البخار والتاسع عشر عصر الكهرباء والعشرون عصر الذرة ، فان القرن الحادي والعشرين سيدعى عصر الموسيقى ، وكفى بهذا الشرح المرجز دليلاً على عظمتها وضرورة الاهتمام بها ، فهي ليست ترديد أصوات أو نقراً على أوتار ، بل هي بحر من العلوم يزخر بأعظم الفوائد .

والخلاصة أن التطور الذي طرأ على الموسيقى في سورية خلال نصف قرن ، ظاهر بوضوح لكل من يقابل بين حالها الحاضرة وحالها السابقة ، هذا التطور وان كان بطيئاً وقليل الاهمية من الجهة العملية ، ومن جهة رقي التلحين ، وتعدد الآلات ، وتلوين الالحان بمزج الاصوات ، إلا أنه عظيم جداً من جهة العلم والنظريات ، ولا يخفى ان كل بناء عظيم كان قبل تشييده تصميماً هندسيًا أي فكرة فنية مرسومة على الورق.

ورجائي ان اكون قد وفقت بهذا البحث الى أداء واجب قومي ، فهذت الي به ادارة هذه المحطة التي أتشرف بها في خدمة الموسيقى كل نجاح وازدهار لان الموسيقى الصحيحة لغة عالمية تعجز كل لغة عن مجاراتها في التأثير وبعث الهدوء في النفوس ، وما ضر أية لغة اذا نشرت بها مؤلفات غاية في الهون والاسفاف ؟ أليس لكل لغة خزانة تضم مؤلفات غاية في الروعة والابداع ؟ فما علينا اذن إلا أن نعزز موسيقانا ونتخذ منها وسيلة للسمو وخدمة للروح وتقريب الاذواق ، بدلاً من ان نجعلها وسيلة للخلاعة والهذر والمجون ، وهكذا تنحصر الحرب المشتعلة عليها بمقاومة الاسفاف والابتذال ، وتنصرف الهمم في جميع الاقطار العربية الى تعزيز هذا الفن بالابداع والانتاج ، وقد صور ذلك شاعر القطرين المرحوم خليل مطران بقوله : —

نحبّ من الانشاد كل مكرر بلحن جمود الفكر من مستفاده
ونسبو بنا الاذان عن مستجدّه فكل عتيق ، فهو من مستجاده
بنا حاجة النسر المهيض جناحه الى جوّه العالي ورحب مراده

للأستاذ عدنان مردم بك

أرعاك بالقلب الذي ... لك عنده ما يؤثر
وأراك بالعين التي ... بك تستنير وتبصر
وأقيك هادية الأذى ... مما تخاف وتحذر
ولدي وأنت على الزمان ... لي السراج النيّر
لك من حناني ما يضيق ... الوصف عنه ويقصر
أحنو هواك محاولاً ... كتمان ما أنا أستر
فيتم دمعي بالذي ... كتم اللسان ويخبر
أيميني ما رحت أبدي ... من هواك وأظهر
ولك المنى صاغتها ... وبلغت ما أتصور
لما هتفت ممنقاً ... وطفقت نحوي تنظر
أيقظت ملء أمانيي ... فتن المنى تتسعر
وهززت مني خافقاً ... من رحمة يتفطر
وأسلت من عيني الحنان ... مدامعاً تتحدر
أجد الحياة على القذى ... بك تستطاب وتؤثر
ومعاتب متطفل ... فيما يشير ويؤمر
تخذ النصيحة للأذى ... سبباً فراح يشهر
فعذرته من رحمة ... إن الأبوة تعذر
ولدي وهل شيء أعز ... عليّ منك وأكثر
وأكون أنت وما سواك ... زيادة لا تذكر
يسقو الزمان إذا ابتسمت ... بناظريّ ويشعر
وإذا شكوت فكل ما ... حولي جديب مقفر
تحلو السماء ببدرها ... للناظرين وتسحر
ولأنت من بدر الدجى ... أبهى وضديّ أنور

العناصر المعدنية

ماهيتها وخواصها في جسم الانسان

للأستاذ اسبيرو حيشري

« قبل البدء في تعريف فوائد العناصر المعدنية الموجودة في جسم الانسان يحسن بنا أن نعرّف الانسان نفسه تعريفاً شاملاً فنقول : »

﴿ خلق الانسان ﴾ « في البدء خلق الله السماوات والأرض » هذه أول آية استهل بها الفصل الأول من سفر التكوين ، وهو السفر الأول من أسفار الكتاب المقدس . وبعد هذا يبدأ في تفصيل خلق الخليقة الى أن يصل الى العدد السابع والعشرين من الفصل نفسه فيقول : —

« فخلق الله الانسان على صورته ، على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى » .

وليس بين قراء المقتطف من يجهل هذه الحقيقة ، أو من لا يؤمن بأن الرب الاله جبل الانسان تراباً من الأرض ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار الانسان نفساً حية [1]

وجاء في القرآن الكريم ما نصه : —

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً . ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » [2] . — وجاء أيضاً ما نصه : —

« يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى [3]

﴿ تعريف الانسان ﴾ عرّف القاموس الانسان بقوله : هو الحيوان الناطق وهو اسم جنس يطلق على آدم وعلى كل من ذريته ذكراً كان أو أنثى » .

(١) سفر التكوين ٢ : ٧ (٢) سورة « المؤمنون » الآيات ١١ — ١٣ (٣) سورة « الحج » الآية ٤

وقيل إن كلمة الانسان آتية من النسيان وهو مذهب الكوفيين أيام كانت المدرسة الكوفية تنافس وبين البصريين في صدر الاسلام ولذلك قال شاعرهم : —

ولا تنس حاجتك العبد فانما سميت انساناً لانك ناس

ولكن هذا تعليل والأصح إنما من الانس على مذهب البصريين صفة مشبهة باسم الفاعل صيغة فعلان وهي انسان بمعنى آنس اشارة الى انسه طبعاً بعضه ببعض .

والانسان مخلوق من مخلوقات الله الحية وهو أكملها جسداً ونفساً . وفي هذا يقول ابن عربي « الانسان يجمع في نفسه صورة الله وصورة العالم وهو وحده الذي تتجلى فيه الذات الالهية بكل الصفات والاسماء ، وهو المرآة التي تنكشف لله فيها ذاته ، ونحن أنفسنا للصفات التي نسف بها الله ، ووجودنا ما هو الا تحقيق وجوده . . . »

﴿ الانسان انساناً ﴾ يميز الانسان عن غيره من الحيوان بنطقه وعقله ومعرفته الخير والشر ، مع دوام صلة المعرفة والعاطفة والحنان متبادلة بينه وبين أهله وأقربائه واخوانه ، بعكس الحيوان الذي يعرف صغيره الى أن يكبر ويتساويا فيصير كل منهما ينظر الى الآخر كنظره الى كل حيوان وتنقد تلك الصلة والعاطفة والحنان بينهما .

كما أنه يعترف بوجود قوة الهية خالقة ويقر بحياة له بالروح غير هذه الحياة الدنيا ، وان نفسه هي غير نفس الحيوان الذي لا يعرف من هذه الحياة إلا تنازع البقاء وبقاء الجنس .

أما قول سليمان الحكيم ليس للانسان فضل على البهيمة [1] فهو يعني الناحية الحيوانية في الانسان . وأما عندما يقصد نفس الانسان يقول : « من يرى روح بني البشر الذي يصعد الى العلاء وروح البهيمة الذي ينزل الى أسفل الى الارض [2] » وكذلك قوله : « نسمة البشر سراج الرب » [3] أي نفس الانسان قبس ينير من وجود الله وأعماله ، ولذا دعي الانسان بأنه تاج مخلوقات الله المتسلط على كل أعماله .

﴿ الانسان حيواناً ﴾ الانسان حيوان يخضع لكل نواميس الحياة الحيوانية والنباتية ولا يفرق عنها بشيء ، فهو يولد ويتوالد ويتغذى وينمو ويسقط ويغضب ويتجنب الخطر ويتألم ويمرض ويهزل ثم يتلاشى ويصبح أثراً بعد عين وذكرى بعد حقيقة ، غير كاسب لذاته من هذه الدنيا سوى غذائه . ثم يغدو هو نفسه غذاء لغيره من عالمي الحياة وهما الحيوان والنبات .

وفي هذا المعنى يقول العالم الفرنسوي لافوازيه : إن الطبيعة تحتفظ بكل ذرة من ذراتها ، وتختبرها العجيب تحوّل كل شيء فيها . فواد اسلافنا تتناولها بغذائنا ، وموادنا

(١) سفر الجامعة ٣ : ١٩ (٢) سفر الجامعة ٣ : ٢١ (٣) سفر الامثال ٢٠ : ٢٧

نحن سيتناولها أخلافنا بعذاتهم وهكذا الى ما شاء الله .

وفي الحرب العالمية الأخيرة كان الالمان يحرقون جثث الموتى ويأخذون الرماد المتخلف عنها ، ويستعملونه في تسميد الأراضي الزراعية . ورحم الله أبا العلاء حيث يقول : —

خفف الوطء ما أظن أديم الـ أرض الا من هذه الأجساد

يعود الانسان ثم يموت فتتحلل تلك النسمة الحية الى خالقها ويبدعها لكي يحاسبها على أعمالها التي تكون قد اقترفتها على الأرض ، إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وهو ما نسميه بالثواب والعقاب . أما الجسم فيدفن ثم يبلى وتتحلل جميع عناصره وتعود الى الأرض التي أخذ منها ، لأنه تراب والى التراب يعود [1] .

يعود الانسان الى أمه الأرض التي تختر عليه وتلتفه اليها . وإذا جردناه من مواهبه العقلية ، فلا يبقى الا هيكل عظمي التفت عليه أعصاب وعروق وعضلات لا تساوي كلها الا بضعة دريهمات قليلة .

﴿ جسم الانسان ﴾ تتركب نسج جسم الانسان من عدة عناصر مختلفة أهمها ستة عناصر وهي : — الكربون والايدروجين والاكسجين والنتروجين والكلسيوم والفصفور وهي العناصر التي تتركب منها معظم الأغذية وتجوعها ٩٩ ٪ من وزن الجسم .

فالاربعة عناصر الأولى وهي الكربون والايدروجين والاكسجين والنتروجين توجد على هيئة مركبات عضوية تعرف بالبروتينات « زلاليات » ومنها تتكون جميع نسج الجسم ، ولا تخلو منها أجسام النبات والحيوان — ويوجد الايدروجين والاكسجين متحدين في الماء الذي يكون الجزء الأكبر من وزن الجسم ، فاذا أخذت جسم الانسان جملة واحدة كان الماء فيه ٦٧ ٪ .

ولا بد للجسم من المواد الزلالية . فاما أن يكونها بنفسه أو أن يستمدها من الأطعمة التي يتناولها ويتغذى بها . والمعروف أن انتاجها بنفسه متعذر عليه ، وإذن فلا بد منها في غذائنا . وعليه لا بد أن نتناول في طعامنا مقداراً كافياً من الزلاليات وإلا هلكنا جوعاً مهما تناولنا من الأصناف الأخرى ، لأن الجسم يحتاج الى الزلاليات لقيام بعمله ، وبوجه خاص العضلات والدم . فالعضلات والدم تفقد في قيامها بأعمال الحياة جانباً كبيراً من المواد التي تتركب منها فاذا لم نعوضها ما تفقده ضعفت . فالطعام المحتوي على المواد الزلالية ضروري جداً للجسم الحي .

(١) سفر التكوين ٣ : ١٩ — وسفر الجامعة ٣ : ٢٠ .

وقد تحصل على هذه المواد في أشكال مختلفة ، من الأغذية النباتية والحيوانية . فهي في اللحوم تدعى « ميوسين » وفي البيض « البومين » (زلال البيض) وفي اللبن الجبن « كازين » وفي الحنطة « غلوتين » وفي الفول والعدس وما أشبه « ليغومين » . ومع أن هذه المواد مختلفة الأسماء باختلاف مصادرها الا أنها متشابهة في تزويدها الجسم بما يحتاج اليه من الزلاليات لتجديد النسج وتعويضها مما تفقده منها .

ويجدر بنا أن نشير هنا بأنه مهما يتناول الانسان في طعامه من الزلاليات المستمدة من المملكة النباتية فلا يمكن له أن يستغني بها عن الزلاليات المستمدة من الحيوان ، لان في الأخيرة مركبات ضرورية للجسم غير موجودة في زلاليات النبات .

وهناك بجانب العناصر الستة المذكورة آنفاً عشرة عناصر مهمة أخرى فيكون مجموع العناصر التي يتركب منها جسم الانسان ستة عشر عنصراً . وهي العناصر عينها التي توجد في التربة الزراعية والنبات والحيوان أيضاً وانه لا يوجد كائن حيّ سواء أكان نباتاً أم حيواناً لا يتركب جسمه من هذه العناصر الستة عشرة التي سنفصلها فيما يلي لان الانسان والحيوان يتغذيان بالنبات ، والنبات يعتمد في غذائه على الهواء والتربة .

ونذكر في الجدول التالي نسبة أهم ما في الجسم من هذه العناصر : —

الاكسجين	٦٣ ر ٠٣ ٪	الفلور	٠ ر ١٤ ٪
الكربون	٢٠ ر ٢٠ ٪	الكبريت	٠ ر ١٤ ٪
الايدروجين	٩ ر ٩٠ ٪	البوتاسيوم	٠ ر ١١ ٪
النتروجين	٣ ر ٥٠ ٪	الصوديوم	٠ ر ١٠ ٪
الكلسيوم	٢ ر ٤٥ ٪	المغنسيوم	٠ ر ٠٧ ٪
الفسفور	١ ر ٠١ ٪	الحديد	٠ ر ٠١ ٪
الكلور	٠ ر ١٦ ٪		

أما اليود والنحاس والرصاص فمقاديرها في جسم الانسان أقل من ذلك كثيراً .

والأغذية التي يتناولها الانسان في طعامه تحتوي على مقادير مناسبة من هذه العناصر وهي لازمة للصحة والنمو وبدونها لا يؤدي الجسم وظائفه الفسيولوجية على وجه سليم ، وستكون هذه العناصر موضوع بحثنا التالي في معرفة منافعها وخواصها في جسم الانسان ، وتعيين الأطعمة الزاخرة بهذه العناصر .

البحث بقية

نحن واللغة العربية

— ٣ —

اللغة العربية في العصر الحاضر : ١ . [في مصر]

للأمير مصطفى الشهابي

حلّ القرن العشرون فبدأت أرواح النهضة الحديثة تتورّ وتثمر . وكانت مصر في أوائل هذا القرن محط رجال الكتاب والأدباء ورجال الصحافة . وما برحت مصر قلب العالم العربي وأم معقل اللغة العربية . وأسباب ذلك أنها انفصلت عن الدولة العثمانية قبل غيرها ، وأن فيها الأزهر ، وأنها غنية ، وأن سكانها يبلغون ستة عشر مليوناً ، وأنها أخذت بوسائل المدنية الحديثة وبتعلم العلوم العصرية باللغة العربية منذ أيام محمد علي في القرن الماضي .

وإذا ألقينا النظر في الثمار التي جنتها اللغة العربية بمصر في عهدنا هذا نجد أنها تتلخص فيما يلي وهو : —

أولاً — ازدادت ساعات تدريس العربية في مدارسها وسهّلت وسائل تدريسها

ثانياً — أصبحت جميع المدارس الابتدائية والتجهيزية والزراعية والصناعية وكثير من المدارس العليا تدرّس بالعربية .

ثالثاً — ارتقت لغة الصحافة ، وتعددت موضوعاتها ، وانتشرت الصحف انتشاراً واسعاً مما قرب اللغة الفصحى الى العامة وجعلها في متناول مداركهم .

رابعاً — إرتقت لغة الدواوين في الحكومة المصرية ، ولا قياس بين لغة الموظفين السقيمة في القرن الماضي ولغتهم في أيامنا هذه .

خامساً — أُلف بالعربية عدد لا يستهان به من الكتب المدرسية في مواضيع العلوم المصرية المختلفة .

سادساً — طبع مطبعة الحكومة ومطبعة دار الكتب المصرية كثيراً من كتبنا الأدبية، ومعاجمنا اللغوية. ولجنة التأليف والترجمة والنشر في برنامجها هذا، فضل كبير في هذه الناحية من نشاط مصر الأدبي والعلمي.

سابعاً — أنشيء مجمع لغوي إسمه مجمع فؤاد الأول للغة العربية أهم أغراضه المحافظة على سلامة هذا اللسان، وجعله وافياً بمطالب العلوم والفنون في تقدمها، ملبياً لحاجات الحياة في العصر الحاضر، وذلك بأن يحدد في معاجم أو تفاسير خاصة ما ينبغي استعماله أو تجنبه من التراكيب. وقد أصدر هذا المجمع حتى اليوم أربعة مجلدات من مجلته، فيها مقالات وبحوث مفيدة وترجمة نتائجه من المصطلحات العلمية.

ويتضح من هذه الخلاصة الموجزة أن لساننا المبين مدين لمصر في نهضتها الحديثة. ولكن هذا اللسان يطمح من هذا القطر العربي بمجهود أكبر يناسب استقلاله وثروته وعدد سكانه. فدواوين الحكومة في مصر مثلاً ما برحت تستعمل كثيراً من الألفاظ الأعجمية كالباش مهندس والحكيم باشي والأوسطة وأحزابها. وما برح في الجيش المصري عدد من الألفاظ غير العربية كالصاغ والبُرزباشي والأورطة وأشباهها، على حين أن مصطلحات الجيش بالعربية تكاد تكون اليوم تامة. وقد كان مبدأ وضع هذه المصطلحات في دمشق عقب الحرب العظمى الأولى، ثم تناول العراق هذا العمل المجيد وتوسع فيه حتى صار عندهم معجم كبير لتلك المصطلحات.

وإذا انتقلنا الى الجامعة المصرية نجد أن التعليم في بعض كلياتها ولا سيما كلية الطب ما برح يلقى باللغة الانكليزية. والقول بأن تعليم الطب وفروعه بلغتنا يدعو الى ابتعاد مدارسنا الطبية عن مثيلاتها في الغرب وعن الثقافة الغربية، قول بعيد عن الصواب على ما أرى. لأنه ما من أستاذ يدرّس بالعربية في مدرسة فنية عليا إلا وله اطلاع كاف على الفرنسية أو على الانكليزية، وما من مخبر من مخابر هذه المدارس إلا وله اتصال بمخابر الغرب وأساتذته. أما الطلاب فلا يمكن أن تتدنى ثقافتهم إذا درسوا العلوم والفنون العليا بالعربية ما دامت مدارس التجهيز تزودهم بلغة أجنبية تسهل عليهم الاتصال بمنتجات الغرب إذا شاءوا. وإذا لبثنا نقول بأن لساننا لا يحتوي على كتب كافية في العلوم العالية، ثم أهملنا التأليف بهذا اللسان لأن تلك العلوم تدرّس بلسان أجنبي، نكون قد وضعنا لغتنا الضادية في حلقة مفرغة، ونكون قد جنينا عليها جناية لا تغتفر.

وفي كل سنة تعقد الجمعية الطبية المصرية مؤتمراً طبياً في بلد من البلدان العربية،

وتجعل من أسس أعماله البحث في توحيد المصطلحات العلمية بالعربية . وأتذكر أن اجتماعنا في سنة ١٩٣٥ كان في دمشق ، وإني ألتبت في مؤتمرها الحاضرة على إعداد طرائق نقل المصطلحات العلمية الى اللغة العربية » وأن الأعضاء تكلموا وتناقشوا في هذا الموضوع ولم يتناولوه في كل عام . فاذ كانت النتيجة ؟ لقد كانت النتيجة أنهم أحالوا الموضوع الى مجمع فؤاد الأول للغة العربية وليست مدرسة الطب في مصر تدرس باللغة الانكليزية .

ولم يشر في مصر عدد يذكر من العلماء القادرين على إنشاء لغتنا بمصطلحات العلوم والمخترعات الحديثة .

ولم يؤلف في هذا العدد سوى معجم صغير في أسماء النبات للدكتور احمد عيسى ، ومعجم كبير في العلوم العلمية والطبيعية للدكتور محمد شرف كثير من ألفاظه تحتاج إلى إعادة النظر فيها .

وقد أفاد مجمع فؤاد الأول لساننا الغادي ببعض قواعد في تسهيل اللغة أجاز استعمالها ، ووضع أو أقر جملة من المصطلحات العلمية لا بأس بها . ولكن أين هذا العمل القليل من تحقيق أهم عمل يرتقبه العالم العربي من المجمع المشار اليه وهو وضع معجمين الأول إنرشجي عربي للمصطلحات العلمية والمخترعات الحديثة ، والثاني معجم عربي تعرف فيه الألفاظ تعريفاً علمياً ، كمعجم لاروس الصغير مثلاً . ووضع هذين المعجمين يتطلب جهود عشرات من العلماء الاختصاصيين في جميع بلاد العرب ولم نسمع بأن مجمع مصر استعان بواحد منهم ضمن اختصاصه فكلفه وضع الألفاظ المتعلقة بالعلم الذي يتقنه ، بل حصر عمله ضمن دائرة ضيقة فصارت الأيام والسنون تمر دون أن نسمع شيئاً عن هذين المعجمين . ومعجماتنا القديمة لا تصلح لأيامنا هذه . فهي خالية من مصطلحات العلوم الحديثة ، عدا أن كثيراً من ألفاظها قد عرفت تعريفاً بعيداً عن التعريف العلمي الحديث . وقد ذكرت في مقالاتي في المقتطف وفي مجلة مجمعنا العلمي العربي أمثلة عديدة على هذه النقائص . ولهذا وجب صنع المعجمين اللذين أشرت اليهما . ولكن صنع المعاجم المضبوطة علمياً في هذه الأيام لا يستقيم الا لجمهور كبير من العلماء الاختصاصيين . فمعجم لاروس الفرنسي المصور مثلاً عمل في تأليفه عشرات بل مئات من العلماء والأساتذة . ومعجم لاروس الصغير استنفد جهود عدد كبير منهم . وعددت ٧٥ عالماً ساهموا في معجم لاروس الزراعي الخ ...

ومهما يكن من أمر فالآمال معقودة على مصر في تحقيق هذا الغرض السامي . وعسى

أن تحتل الكتابة آمال أبناء العرب فيما يبذل جهدهما في حمله الناجحة كما فتحت أخيراً بالمغانم ثغوراً يقضي في الشركات الأجنبية في مصر بشدوين أعمالها ومحاماتها باللغة العربية . فمن في اتخاذ هذا التاريخ خدمة جليلة للغة الضاد ، علاوة على خدمة عدد كبير من الشبان المصريين بإيجاد مرتزق لهم .

وإذا حولنا حديثنا إلى الأدب والشعر والانشاء في العصر الحاضر نجد أن أدباء مصر وشعراءها وكتابها قد تحللوا وبلغوا الذروة فيما يبحث براعتهم من مقالات جليلة ، وفيما أطلعت قرائحهم من مصنفات ثمينة . ولاشك أنهم فاقوا في هذا الباب زملاءهم في الأقطار العربية السائرة على وجه الاجمال . وهذا سار لأدبائهم من مصريين ومتمصرين حق الزعامة الأدبية في البلاد العربية .

ومن أشهر الكتاب في مصر في أوائل العصر الحاضر الشيخ عبد العزيز جاويش وحفني بك ناصف ومصطفى صادق الرافعي والسيد مصطفى لطفي المنفلوطي صاحب كتاب النظرات والشيخ علي يوسف زعيم الصحافة المصرية في تلك الأيام وأحمد تيمور باشا وأحمد زكي باشا وهم من الكتاب العلماء .

أما الشعراء فأشهرهم أحمد شوقي وحافظ ابراهيم وخليل مطران . وقد برز هؤلاء الثلاثة وفاقوا غيرهم فكانت الامارة لأولهم ، وهو أخصب شعراء العصر فكراً وأوسعهم خيالاً وأقدرهم على النظم في مختلف الأغراض الشعرية . وكان حافظ ابراهيم شاعر السياسة والشؤون الاجتماعية على الاخص ، كما كان من أكبر الكتاب الناثرين . وخليل مطران فضل تزويد الشعر العربي بالوصف الرائع والأخيلة الواسعة التي يتذوقها المتأدب في روائع الشعر الأوربي ، وهو ممن ملكوا اللغة العربية فأجادوا في النثر كما جودوا في الشعر .

وظهر في مصر عدد كبير من الشعراء من طبقات مختلفة ، وكان ولي الدين يكن من أرق الشعراء . أما اليوم فقد بدأ نجم علي محمود طه يتألق . وهو صاحب قصيدة «الجوندول» وله قصائد كثيرة نحا فيها منحى الأوربيين واستلهم الشعر من رياضهم حوتا عجمة . ولولا أنه يجب ذكر العقاد في رهط الناثرين المبرزين لوجب ذكره في هذا المقام .

ومن أشهر الكتاب والأدباء الأحياء الذين تبضوا على ناصية البيان ، رهط درسوا في الأزهر ثم تثقفوا بالثقافة الأوربية فجمعوا بين الحسنيين أمثال طه حسين عميد كلية الآداب سابقاً ، وأحمد أمين عميدها اليوم ، وأحمد حسن الزيات صاحب مجلة الرسالة .

ومن الأدباء الذين ذاع صيتهم واستفاضت شهرتهم إبراهيم عبد القادر المازني والشيخ عبد العزيز البشري بالنقد والفكاهة والحكومة ، وعبد الحميد السعدي مدير كلية الآداب في الاسكندرية وعبد الوهاب عزام بالأدب الدرسي ، وعباس محمود العقاد وزكي مبارك بشتى نواحي الأدب . وكانت الآنسة مي أوسع الأدباء خيالاً وأغزرهن علماً ، وكانت دارها ندوة الأدباء . ولا مشاحة في أن يعتبر صروف أحد صاحبي « المقتطف » كان صاحب أجود قلم يعالج العلوم العصرية ويترجمها الى لساننا الضادي . أما اليوم ففي مصر عدد من الكتاب يكتبون العلوم بأقلام لا بأس بها ، وأكبر عقبة في حذا الضرب من الكتابة افتقار الكتاب الى عدد كبير من المصطلحات العلمية المضبوطة ولهذا زلّ من يجردون فيه .

ولا عجب أن يبلغ عدد من الأساتذة اللغويين في بلد تدرّس فيه دقائق اللغة وآدابها في مثل الأزهر وكليته العربية ، وفي مثل كلية الآداب ومدرسة القضاء الشرعي وكلها معاقل لهذا اللسان المبين . ومن أشهر هؤلاء الأساتذة الشيخ أحمد الاسكندري وكان يدرس العربية في مدرسة دار العلوم ، والشيخ ابراهيم حمروش شيخ كلية اللغة العربية في الأزهر ، وأحمد العوامري المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف ، والشيخ حسين والي من اللغويين المشهورين ، وعلي الجارم مفتش اللغة العربية بوزارة المعارف والشيخ محمد الخضر حسين أحد أساتذة الأزهر ، وجميعهم أعضاء في مجمع فؤاد الأول للغة العربية . وفي الحقيقة صار يوجد اليوم في مصر عشرات من اللغويين المطلعين على دقائق آلات هذا اللسان .

أما التمثيل فقد أحسنت الحكومة المصرية بتأسيس فرقة قومية له لا تمثل الا بالفصحى . ومن دواعي الأسف انتشار التمثيل في مصر باللهجة المصرية العامية مما يضر بالفصحى ويخفي تكلفه على معظم ابناء العرب في الاقطار العربية السائرة .

ويتضح من هذه الخلاصة بل اللمحة بل الاشارة التي يجب أن أبلغكم اياها بسرعة الراديو في اقل من عشرين دقيقة ، أن في مصر اليوم عدداً عظيماً من الأدباء المبرّزين ، والعلماء الاختصاصيين بشتى العلوم ، واللغويين الذين تبحروا على أئمة اللغة ، والصحفيين الذين تمت لغة صحفهم وموضوعاتها ، والاساتذة الذين يدرسون الآداب والعلوم والتفوق في مدارس عديدة عصرية راقية . فلا غرابة بعد هذا أن تعد مصر ، من حيث الثقافة العربية العامة ، في طليعة الاقطار العربية .

المخترعات المرتقبة

في النصف الآتي من القرن الحالي

— ٣ —

للأستاذ فرنسيس جبرائيل

٩ — ﴿ وسائل الطبخ المرتقبة ﴾ وحينئذ يصير الطبخ أمراً تذكاريا فحسب ، تتردد ذكراه في أذهان الناس الطاعنين في السن . ويقل عدد المتعهدات اللواتي يصررن على شي الدجاج بالشواة «الشالة» على نار الفحم الحجري أو اللواتي يشغفن بشيّ سائر الطروف مثلاً على النيران المكشوفة . لأن الخبراء قد يكونون اخترعوا وسائل جديدة من شأنها تنضيج قطع اللحم المطبوخ في القرن طبخاً متقناً ، تنضيجاً بالغاً . وحتى الحساء واللبن يصبح تقديمها إلى الآكلين على شكل قوالب مثلجة .

وفي ذلك العهد تنتشر حرفة تنضيج الأغذية . وينجم عن تغير عادات الناس المتأنقين في طعامهم ، ضرورة تركيب المواقد الكهربية الفنية في كل بيت .. وهي ثمرة من ثمار الحرب العالمية الثانية . فتقتني ربة الدار موقداً منها لتستطيع به في ثماني ثوان ، تذويب الثلج عن شرائح اللحم المشوي نصف شي . ثم استكمال نضجها في دقيقتين أخريين فتقدم للآكل . فيتسنى لكل سيدة على هذا المنوال في زمن لا يزيد على نصف ساعة اعداد أكلة متقنة متعددة الأصناف .

١٠ — ﴿ الأغذية المصنوعة بالوسائل الكيمائية ﴾ وسوف يكون بعض الطعام الذي تبتاعه ربة البيت طعاماً مصنوعاً صنعاً كيمائياً ، كما نسميه الآن . وهذه التسمية سوف تصير غائمة في أواخر القرن الحالي . لأن علماء الاحياء سبق أن تكهنوا في منتصف هذا القرن نفسه ، بأن الخلق سيموتون جوعاً لأن موارد الطعام حينئذ ستعجز عن مداد سكان العالم الذين يزيدون دائماً زيادة طائلة على هائيك المصادر الطبيعية .

وسوف يقوم العلماء قبل سنة ٢٠٠٠ بمباحث طريفة واسعة النطاق ، يتوخون بها

استغلال الذرة التي كانت خطيرة في الربع الأول من القرن الحالي ، استغلالاً خطيراً . ومن ثم يتاح تحويل نشارة الخشب وعجينته أغذية حارة الطعم . كما يمكن تحويل الأجزاء والمشي الورقية المستعملة ، الشبيهة بالكتانية ، وكذا الثياب الداخلية المستعملة التي تنسج من الحرير الصناعي ، إلى حلوى تنتجها المصانع الكيمائية .

١١ — ﴿الراديو المصور لخدمة التجار وأرباب البيوت﴾ ولسنا نرتاب في وجود أجهزة الراديو المصورة في بيوت المستقبل . ولكن هذه الأجهزة ستقترن بتلفون بأجهزة التليفونات وأجهزة لاستقبال الاذاعة اللاسلكية المركبة في المساكن . وذلك لكي يستطيع رب الدار حينما يرتب في محادثة تليفونية مع صديق له في مدينة نائية ، رؤية أحدهما الآخر في آن واحد .

١٢ — ﴿المخترعات الكهربية الأتوماتيكية﴾ أما المخترعات الكهربية الاتوماتيكية التي يخيل لمرء أنها على جانب من الذكاء ، فتقوم بتوحيد الانتاج الصناعي توحيداً من شأنه جعل الآلات جميعها التي يحويها المصنع تؤدي أعمالها كوحدات ، لما هو في انواع جسم واحد ضخم ومثال ذلك ، إن في مصنع أوريول للطابعات المصورة الأوتوماتيكية بتر بضع آلات من هذا الصنف مخصصة لمنع تعب العمال ، تستجيب للصفايح التي تضاء بقعة على لوحة خاصة عندما ينطفئ الضوء الكهربي أو يحدث خطأ في الدائرة الكهربية . وتوضع كل عملية من العمليات الضرورية لصناعة الهليكوبتر بواسطة ثقوب تثقب على رزمة من الورق . ثم تقوم هذه الرزمة المثقبة بآلة تصدر الاوامر فعلاً الى الآلات الأخرى جميعها التي في المصنع . والثقوب التي تثقب في الورق تبين بالضبط مقدار التوسيع الذي ينبغي أن يقوم به البرغل « آلة التوسيع والتنميم التي تعمل في باطن الاسطوانة » تماماً كما تمر آلة من آلات صوغ ألواح المعادن ، لوحاً من الالومينيم ، الى جارتها فتصد احداث ٢٢ ثقباً في مواضع معينة . وهناك مفاتيح الكترونية ميكانيكية تقوم من تلقاء نفسها بربط المسامير اللولبية « البرمة » بالصواميل وهذه تكف عن عملها حالما تشد المسامير في مواضعها . كما توجد مقصات كبيرة تقص ألواح المعادن وفق الحاجة تماماً . وبالجملة فان كل عملية تعمل في ذلك المصنع بالطريقة الأوتوماتيكية الكهربية .

١٣ — ﴿آلة كهربية تتنبأ بالتقلبات الجوية﴾ ومن أشهر الآلات الكهربية التي يتوقع العارفون تحسينها قبل سنة ٢٠٠٠ ، آلة سوف ينفق عليها مئات الألوف من الدولارات في غضون الربع الأخير من القرن الحالي . وذلك من خيال الدكتور فلاديمير

زوريكين وزميله الدكتور جون فون نيومان . ونعني بها آلة أوتوماتيكية تتنبأ بما يطرأ على الجو من التقلبات تنبؤات صادقة ، وهذه سوف تجمع بين آلتين — هما آلة حاسبة وأخرى متنبئة . فتقوم أولاهما بحل ألوف من المسائل الحسابية المفردة في دقيقة واحدة . على حين تنفذ ثانيتهما تعليمات آختها الحاسبة وتتنبأ بتقلبات الجو من ساعة الى أخرى[1] .

والمعروف أنه حتى سنة ١٩٥٠ لم يكن الوقت متسعاً لعداد الظواهر الجوية ورصدها ، لأجل التنبؤ بما يحدث من الظواهر الجوية قبل ٢٤ ساعة كاملة . وذلك عندما تزيد هذه الظواهر على خمسين ظاهرة بما يتبعها من عويص المسائل الحسابية التي ينبغي حلها لهذا الغرض .

١٤ — ﴿كيف يمكن إتقاء ضرر العواصف﴾ وذلك على حين أن المقترحات التي اقترحها العلامة زوريكين وزميله فون نيومان تقضي بأن العواصف يتاح قمعها إما كثيراً وإما قليلاً . وها برهان أنه من السهل جداً اكتشاف العاصفة في مهدها عندما تهب في ربوع المحيط القريبة من خط الاستواء عند شاطىء أفريقية . فينبغي قبل سنوح الفرصة لتقويتها وتفاقم سرعتها نحو الجهة الغربية ، قاصدة الى فلوريدا ، أن يسكب الزيت المعدني على مياه البحر ويشعل . فيتولد من اشعاله حينئذ تيار هوائي علوي . فيأخذ الهواء المحيط بالمنطقة المجاورة لهاتيك الآفاق التي تشمل العاصفة المتفاقمة في اقتحام ذلك الفراغ ليشغله ، إذ يتكثف الهواء المرتفع تكثفاً من شأنه جعل بعض الماء الذي تحويه العاصفة ينزل مطراً .

وعندما يتيسر تحويل العواصف تحويلاً لا ينشأ عنه أي ضرر كان ، تغدو الملاحة الجوية لا يصوتها أي عائق البتة . فيسهل على كل انسان وقتئذ الارتحال كيف يشاء الى البلاد الأجنبية أكثر مما كان يفعل حتى سنة ١٩٥٠ .

١٥ — ﴿الطائرات التي تطير بسرعة تفوق الصوت﴾ وقبل حلول سنة ٢٠٠٠ سوف تظهر الطائرات التي تفوق في طيرانها سرعة الصوت إذ تقطع الف ميل في الساعة . وتستهلك وقوداً كثيراً باهظ الثمن . وهذا مما يجعلها فادحة الأجور . فيستطاع حينذاك لاحدى هاتيك الطائرات قطع المحيط الاطلنطي في ثلاث ساعات . ولا غرو فرؤساء الشركات وأرباب

(١) «المقتطف» : يسرها أن تذيع ان مصلحة الارصاد في مصر بدأت باستخدام الآلات الحاسبة الحديثة لاستخراج المعادلات والجداول الاحصائية ، وهذه الآلات تستخدم لاول مرة في تاريخ الارصاد الجوية بمصر والشرق . وقد رأت المجلة ايفاد الاستاذ ابراهيم علي البرلسي مراقب قسم المذنبات فيها الى انجلترا في زيارة طبية لمدة خمسة أشهر يدرس خلالها طرق استخدام هذه الآلات ، والاطلاع على النظم المتبعة في قسم المناخ بمصلحة الارصاد البريطانية .

المصارف المالية وسفراء الدول وغيرهم من الأثرياء يؤثرون ركوب الطائرات الصاروخية التي تقطع الف ميل في الساعة . ولا يتعير كل منهم أن يدفع ٥٠٠٠ دولار أجرة سفره الجوي من شيكاغو مثلاً الى باريس . أما غير هؤلاء فيركبون الطائرات النفاثة لأنها أرخص أجوراً .

١٦ – ﴿ استخدام طائرات الطليكوبتر ﴾ وسيعقب اتساع نطاق النقل الجوي ، صعوبة توزيع السكان على أنحاء العالم توزيعاً مرضياً ، غير ميسور الى الآن ، حيث تطيب الاقامة . وحينئذ يعمد كثيرون من أهل المدن المكتظة بالسكان ، الى سكنى الضواحي الأنيقة . ويفضلون ركوب طائرات الطليكوبتر . وسوف تقتني كل عائلة طائرة منها ترابط فوق سطح مسكنها ، بدلاً من استعمال السيارات الحالية التي سيكون استخدامها مقصوراً على التسوق أو الرحلات التي لا تزيد على عشرين ميلاً .

١٧ – ﴿ منقولات السكك الحديدية في آخر القرن الحالي ﴾ أما السكك الحديدية فسوف تصير في سنة ٢٠٠٠ ضرورية للنقل والانتقال . كما كانت إلى آخر سنة ١٩٥٠ فتنقل على خطوطها ثقال البضائع وأضخمها ، مما تعجز طائرات البضائع عن نقله . أما الركاب الذين يرغبون في السفر بالسكك الحديدية فيكونون قليلين . وحتى حملة التذاكر الكيلومترية يفضلون حينئذ السفر الى المدائن التي تبعد عن مساكنهم مئات الأميال ، وذلك في أوتوبيسات جوية ضخمة تسع كل منها ٢٠٠ راكب . بينما يقطع تلك الرحلات مئات الألوف من الركاب مرتين كل يوم في طائراتهم الصعودية الارتفاع .

١٨ – ﴿ الطائرات اللامروحية لنقل البريد ﴾ وسوف تسير الطائرات اللامروحية « النفاثة » والصاروخية ، الخاصة بنقل البريد ، منافسة أبلغ المنافسة ، لشركات التلغراف في العالم بأسره . إذ يمكن حينذاك في دقيقة واحدة نقل وتلقي رسالة مكتوبة طبق الأصل ، مؤلفة من خمس صفحات من الورق ذي الحجم التجاري المألوف ، وذلك بنفقة قليلة

١٩ – ﴿ ارتقاء المستشفيات ﴾ وسوف تصير المستشفيات أرقى منها الآن من كل الوجوه . فاذا أصيب امرؤ بأي مرض كان ، قصد إلى الطبيب في المستشفى . فلا يكاد ذلك الطبيب يرى المريض حتى يضغط زراً كهربائياً ، فيسارع اليه مساعدوه أجمعون حاملين المعدات اللازمة لفحص العليل واسعافه .

البطليوسي (١)

للدكتور محمد يوسف موسى

وهذا مفكر متفلسف إسلامي آخر، لم ينل الحظ الذي كان أهلاً له من ذيوع الاسم وبعد الصيت في تاريخ الفكر الاسلامي، فقد أغفله مؤرخو هذا التفكير، كما أغفلوا آخرين كثراً كان يجب العناية بهم وبنتاج تفكيرهم، نعني به عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي، الذي ولد بمدينة بطليوس عام ٤٤٤ هـ، وتوفي بلنسية عام ٥٢١ هـ، وكلتاهما من بلاد الأندلس كما هو معروف.

لقد كان هذا المفكر فقيهاً، عالماً باللغة بصيراً بالعلوم الدينية، وله جهد مشكور في ناحية التوفيق بين الدين والفلسفة، وطريقته في علاج هذه المشكلة جعلته مرضياً عنه من معاصريه. هذا هو ذا الفتح بن خاقان يقول عنه في كتابه قلائد العقيان: «وله تحقق بالعلوم الحديثة والقديمة؛ وتصرف في طرقها القويمة، ما خرج بمعرفتها عن مضمار مشرع، ولا نكب عن أصل لسنة ولا فرع»: ويذكر عنه الأستاذ العلامة الشيخ محمد بن زاهد الكوثري، الحجة في العلوم والدراسات الاسلامية والذي يعيش بمصر هذه الأيام، بأنه أبان هذه المسائل الفلسفية وكشف عن حقائقها، إبانة حرّيت، مع عنايته ألا يحيد قيد شعرة عن حدود شرع الله (٢).

(١) يجب أن نذكر هنا أن الكلام فيما يتصل بوجود الخلاف والوفاق بين الدين والفلسفة ليس مشكلة التفكير الفلسفي في العصر الوسيط فقط، بل ان هذه المشكلة لا تزال قائمة حتى اليوم لدى كثير من المثقفين المسلمين، وبخاصة في الازهر. لهذا لا يعتبر الحديث في هذه الناحية حديثاً لاعتاء فيه، بل هو حديث له دائماً جدته وضرورته، بل هو حديث يعني كثيراً من علماء الدين والفلاسفة الذي لا يزال كثير منهم يرى ما كان يراه أسلافه في العصر الوسيط من وجود عداء بين الدين والفلسفة، ومن ثم ترى هذا الفريق يحمل بين عقله وبين فهم الحقيقة حجاباً كثيفاً يمنع من التفكير السليم ومن الافادة من جهود الفلاسفة.

قال هؤلاء وأمثالهم نسوق الحديث عن فيلسوف مسلم، ولم يتنه ذلك من أن يكون بصيراً بالفلسفة أيضاً (٢) مقدمة كتاب الحدائق في المقالة الفلسفية العالية، ص ٤، طبعة القاهرة عام ١٩٤٦

ونستطيع أن نقدر بأن تفكير البطليوسي الفلسفي يظهر لنا بوضوح في معالجته مشكلة ما بين الدين والفلسفة من صلات ، ولا عجب ، فبيان هذه الصلات نحو — بحق — معتمد الفلسفة الاسلامية وطرافتها . وقد خصص البطليوسي لهذه الناحية مؤلفاً كاملاً من مؤلفاته العديدة ، وهو كتاب الحدائق في المطالب العالية الفسفية المعروضة الذي ظهر بمصر لأول مرة عام ١٩٤٦ م . وتكاد محاولة التوفيق بين هذين الطرفين ، الدين والفلسفة ، تقوم على ما يأتي :

ا — تقرير حدوث العالم ، وبيان كيف صدر عن الله وحاجته له في حفظه وبقائه موجوداً .

ب — بيان أن الله يعلم نفسه وغيره وكل ما خلق ، خلافاً بذلك الفارابي وابن سينا .

حـ — تحييب الفلاسفة القدامى (اليونان) للسنيين ، بتأكيده أن سقراط وأفلاطون وأرسطو كانوا موحدين ، وأنهم في آرائهم عن الله حين تنهم على حقائقها لم يخرجوا عما تقدره شريعتنا .

د — بيان أن النبي أعلى من كل إنسان آخر ، حتى الفلاسفة .

إلى غير ذلك من الآراء التي رأى فيها عوناً للوصول الى الغاية التي أرادها .

الله والعالم

حـ نجد البطليوسي يذهب الى نظرية فيض الموجودات عن الله باعتباره العلة الأولى لها ، وإن كان علة مباشرة لأول موجود وغير مباشرة لما بعده ، كما نجد عنده نظرية العقول العشرة ، وهذا وذاك على النحو الذي نعرفه عن الفارابي وابن سينا . إلا أن البطليوسي ، في سبيل توضيح ما يقول ، يمثل ذلك لنا بوجود الأعداد عن الواحد ، فكل عدد معلول لسابقه لا يوجد الا بتوسطه ، وإن كان الواحد علة لها جميعاً ، إذ كان لا يصح وجود الأبعد إلا بوجود الأقرب[1] وهذا معنى ما يقال من أن الواحد علة العلل وسبب الأسباب »[2] .

ثم يمضي في التمثيل ، تمثيل وجود العالم عن الله بوجود الأعداد الى ما لا نهاية عن الواحد ، لينتهي من ذلك إلى حل مشكلات قدم العالم أو حدوثه ومنها وجوده عن مادة أولى قديمة كما يقول الفلاسفة ، أو عن لا شيء كما يقول الدين ، ومنها مشكلة كيف تصدر

(١) كتاب الحدائق ص ٢ — ٨ (٢) الكتاب نفسه ص ٣٥

الكثرة عن الله ، وهو واحد من كل وجه ، بغير تكثر في ذاته . ولذا يقول : وكما أن الأعداد كلها انبنت الوجود من الواحد من غير حركة ولا زمان ولا مكان ، ولم يحتج الواحد في إيجادها إلى شيء آخر غير ذاته ، فكذلك حدوث الموجودات عن الباري تعالى بغير حركة وبغير زمان وبغير مكان وبغير أدوات ، ومن غير أن تحتاج في إيجادها إلى شيء غيره . وكما أن الواحد لا يوصف بأنه تقدم الأعداد بالزمان ، ولا يبطل ذلك أن تكون الأعداد محدثة عنه ، فكذلك الباري لا يوصف بأنه تقدم العالم بالزمان ولا يبطل أن يكون العالم محدثاً عنه . وكما أن الواحد لا يتغير عن الوحدانية بكثرة ما حدث من الأعداد عنه ولم يوجب ذلك تكثراً في ذاته ولا استحالة في جوهره ، فكذلك حدوث العالم وكثرته لا توجب تغير الباري في وحدانيته ولا تكثراً في ذاته »[1] .

وكذلك يمضي في التمثيل ليصل الى أن العالم محتاج في وجوده ودوامه لوجود الله ، فلو ارتفع لارتفع ، وأن الأمر ليس بالعكس فلو ارتفع العالم لم يرتفع الله ، كما هو الحال بالنسبة للواحد والأعداد الموجودة به . ومعنى هذا ، أن وجود الله وجود مطلق لأنه لا يحتاج في وجوده الى غيره ، ووجود الموجودات كلها وجود مضاف لأن وجودها متلبس من وجوده وقائض عنه[2] . أو بعبارة أخرى ، إن سريان الوحدة من الباري تعالى ، التي بها قوامه وتميزه عمن سواه للأشياء هو الذي كونها ، وأفاض الوجود على مراتبها وميز بعضها عقلاً لبعض ، وهو تعالى علة وجود الجميع ، ولذلك سموه علة العلل والفاعل المطلق والفاعل بالحقيقة ، لأن فعل غيره إنما هو فعل بالمجاز[3] » .

بهذا ، في هذه الناحية ، يرتئي البطليوسي أنه وفق بين الشريعة والفلسفة ، وذلك بالقول بالله الخالق للعالم من لا شيء ، وإن كان ذلك بطريق العلية المباشرة لأول موجود وغير المباشرة لسائر الموجودات الأخرى . وكذلك بالقول بأن حدوث العالم عن الله لا يقتضي تقدم الله عن العالم بالزمان كما هو الأمر بالنسبة للواحد والأعداد الموجودة به . وهذا ما لا يستقيم أن يقول بخلافه ، ما دام الله هو العلة الأولى لوجود العالم ، والعلة لا تتقدم بالزمان على معلولها كما هو معروف ومسلم عقلياً ومنطقياً .

علم الله

في هذه المسألة نجد البطليوسي ينتقد من ذهب من فلاسفة المسلمين إلى أن الله لا يعرف غيره كالفارابي مثلاً ، أو أنه يعرف كل شيء ولكن على نحو كلي لا تفصيل فيه كابن سينا

(١) كتاب الحدائق ص ٣٦ — ٣٧ (٢) الكتاب نفسه ص ٣٦ (٣) الكتاب نفسه ص ٣٧ — ٣٨

مثلاً : بمعنى انه يعلم الكليات لا الجزئيات ، كأن سبأ مثلاً ، مستندين الى قول الفلاسفة القدماء : « إن الله لا يعرف إلا نفسه » . ثم يصف هذا الفهم للكلام القديم أي اليونان بأنه جهل وحمله تأويل لكلامهم ، فلهم وإذ ذاك تقوم حجة عليهم [1].

وبعد أن اجتهد في شرح هذه العبارة المأثورة عن الفلاسفة القدماء على أربعة أوجه ، وكل وجه ينتهي الى هذا المبدأ : « اذا علم نفسه فقد علم كل وجود تابع لوجوده » [2] ، أخذ في التدليل على أن الفلاسفة أرادوا إذاً بذلك أن الله عالم بكل شيء ، إذ هو عقل مجرد عن المادة التي تمنعنا من إدراك الأشياء [3] ، وأن القول بغير ذلك يكون تأويلاً سيئاً لعبارة الفلاسفة السابق ذكرها . ولكن يلتبس من هذا ، نراه يعني بإبطال رأي القائلين بأن الله لا يعلم إلا ذاته ، والآخرين الذين ذهبوا الى أنه وإن كان يعلم الأشياء كلها ولكن ذلك على نحو كلي لا جزئي مفصل [4] ثم يستند في مناقشة هذه المذاهب الى ما جاء في القرآن من آيات تثبت علم الله الشامل لكل شيء : الكبير والصغير والكلي والجزئي ، مؤكداً أن ما جاء في هذا من أقوال الفلاسفة المتقدمين يطابق ما وردت به الشريعة [5].

تصيب [illegible] اليونان المسلمين

وهنا نرى من الخير أن نكتفي بالاشارة الى ما حاوله في المسألة السابقة مسألة علم الله ، من أن الفلاسفة اليونان كانوا يرون أن الله يعلم بكل شيء ، وأن ما قيل عنهم غير ذلك ليس مأتاه إلا من الجهل وعدم حذق علومهم وفهم كلامهم . ثم نشير الى ما ذكره في أثناء عرض رأيه ، أو بالأحرى الرأي الذي ارتضاه من الفارابي وابن سينا في مسألة وجود العلم عن الله ، من قوله : « فهذا مذهب أرسطوطاليس وأفلاطون وسقراط ، وغيرهم من مشاهير الفلاسفة وزعمائهم القائلين بالتوحيد » [6] كما يؤكد ، عند الكلام على خلود النفس وعدم فنائها ، أن هذا مذهب سقراط وأرسطو وأفلاطون وسائر زعماء الفلاسفة [7].

ولسنا هنا في مقام بيان تحفظه في نسبته القول بالتوحيد وعلم الله الشامل لكل شيء الى سقراط وأفلاطون وأرسطوطاليس ، فنصل له عند رده في أنه حكم بذلك بحسب الذي وصله منهم . ولكنا نشير الى أنه يرى بذلك أن يجعل الفلاسفة القدامى وآراءهم محببة الى المسلمين ، لأنها كما زعم لا تختلف عما جاء في الشريعة .

البحث بقية

(١) كتاب الحدائق ص ٥١ (٢) الكتاب نفسه ص ٥١ ـ ٥٤ (٣) الكتاب نفسه ص ٥٥ (٤) الكتاب نفسه ص ٥٨ ـ ٦٠ (٥) الكتاب نفسه ص ٦٠ (٦) الكتاب نفسه ص ١٤ (٧) الكتاب نفسه ص ٦١

حلم الحكومة العالمية

بين الخيال والواقع

— ٢ —

للأستاذ وحيد الدين الشريف

يذهب المناضلون عن قضية الحكومة العالمية، من كتّاب السياسة وفقهاء الاجتماع، في هذا العصر، إلى وجوب الدعوة إلى « دستور عالمي » والتبشير بقانون أساسي موحّد يحكم المجتمع الدوليّ الذي ستنضوي أمم كافة تحت لوائه وتأتمر بمشيئة رائيسة بسلطانه وأحكامه، فيكون مثلها مثل المجتمعات الوطنية في خضوعها لأحكام دساتيرها القومية على تباين صورها وأشكالها.

وكما أن الدستور الوطني يهدف أول ما يهدف إلى الحد من كل سلطة أو طغيان للأفراد أو الهيئات أو الطوائف، يخشى منها على الحريات الفردية أو الحقوق المدنية العامة، فإن هذا الدستور العالميّ الموضوع سيهدف أول ما يهدف إلى الحد من سلطان السيادات الوطنية المتنازعة، أو إلى محاولة اختزالها لتصل إلى الحد الأدنى الذي يمكن معه أن تندمج فيما يجوز تسميته بسيادة عالمية واحدة تتمتع بهذا الدستور العالميّ، أو بالحريّ لهذه الحكومة العالمية الجديدة التي سيكون لها هيئة عليا لا تعلو عليها هيئة أخرى من أي لون من ألوان السلطان، فتتضاءل كل دولة مهما تكن صغيرة في حدود السكان محدودة في نطاق الموارد، إلى حقوقها الدولية في ظل هذا الدستور الذي ينظم تنظيماً جامعاً حدود هذه الحقوق والحريات. على أنه لا يجمل أن يفوتنا أن الاستقراء السليم للواقع التاريخي في متعاقب مراحله وأدواره، منذ أقدم العصور إلى اليوم، يجب أن يكون سنادنا الأول في رسم الحدود والاحتمالات والخطوط الأساسية لكل تخريج جديد لأي نظام من النظم أو أية مرحلة تشريعية من مراحل التطور التشريعي المرتقبة، سواء في الميدان القوميّ الضيق أو في الميدان الدوليّ الفسيح.

هذا الاستقراء ذاته لا يزال يؤكد بأدلته المادية من اجتماعية واقتصادية، بل وسيكولوجية، وهي أدلة كلها واضحة وناصعة، أن الانكار المطلق لسلطان السيادات القومية ليس ميسوراً أو جائزاً على علاته. وهو كما ظل في القديم حلماً من الأحلام لا يزال

في هذا العصر المتشابك العلائق والصلات موصولاً بمنطقة دالبرتوبياه المتحدة ، وليس يسعيد الواقع الملزم للناس بقوة حقائقه ودرئ أحداثه ؛ ومن ثم فإن أي دستور عالمي يقوم على مبدأ إنكار السيادات القومية للاعتراف بسيادة عليا واحدة ، أو الاداة من مدى سلطانها الحاضر تمهيداً لادماجها في سيادة عالمية واحدة ، مثل هذا الدستور يعد بحكم منطق الاستبراء التاريخي السليم حلماً من الاحلام البعيدة التحقيق هو الآخر ، لا في الحاضر فحسب ، بل وإلى مستقبل زمني بعيد .

وليس تخريج كهذا التخريج ضرباً من التشاؤم المقنوت ، بل هو دعوة واقعية ، أمينة واستملاء صادق من سمع الاتجاه الحضاري الراهن الذي تنحوه البشرية اليوم وسط خضم زاخر من مشكلاتها وتوارقها وعديد أخطارها ، بالرغم مما حاوله الرأي العام العالمي — إن جاز هذا التعبير — في عقبي حربين عالميتين زلزلتا قوائم النظم السياسية والاجتماعية فيه ، أن يفطي على هذه الحقائق السافرة ، بمثالية دولية قوامها هذا البريق الخلب ، بريق العدالة العالمية ومنظمات الأمن الاممي « المسلح » على عهد العصبة السابق وعهد هيئة الأمم المتحدة الذي نعاصره ونشهد على مضض مهازله ، كما شهدنا مهازل سلفه من قبل .

فلم يحدث إذن في أي دور من أدوار التاريخ السياسي المتلاحق المتقدمات والنتائج ، مثل هذا الكران الخيالي لسلطان السيادة ، بل الذي حدث وثبت هو العكس ، إذ ظلت سيادات الحكومات الوطنية تبرز تدريجاً إلى الوجود ، وتتحدد معانيها وأصولها ، بعد أن انبعثت هذه المعاني والأصول من صميم السلطان المقدر في وعي الجماعة أو في ضميرها الجمعي ، وأخذت تبرز بسلطانها المادي في مظاهر خارجية بارزة ومحددة . وقواعد السيادة ومناشؤها التي يحدثنا عنها علم القانون الدولي ، تكفل علم الاجتماع بطريقته التحليلية الخاصة بتبيان الأدوار والمراحل التي نرت بها فكرة السيادة في المجتمع الانساني ، منذ أن كانت السلطة الأبوية هي معيار الأحكام والقيم في المجتمع ، قبل أن تتلاشى في المرحلة التالية التي عُقد فيها لواء السلطان للأم ، وهكذا ظلت فكرة السيادة متدرجة المراحل والصور من مجتمعات ما قبل التاريخ حتى بلغت أوضاعها الراهنة في مجتمعات الحضارة ، وتحددت قواعدها وأحكامها في الفقه الدولي الحديث .

ويحدثنا التاريخ أن المجتمعات التي يبلغ فيها التنظيم السياسي ذروته لا تألو جهداً في اقحام العنصر العسكري وسياسة النفوذ والقوة في برامج حياتها الخارجية أو سياستها الدولية . ومثل هذه المجتمعات في هذه الناحية مثل المجتمعات البدائية أو المتخلفة ليست في مضمار التحضر ، فالدولة ما أن تترحد عناصرها ويشتد ساعدها وتحس قوتها ، لا تلبث أن تطمح الى سياسة خارجية توسعية فتحاول أن تمد سلطان سيادتها على جيرانها المستضعفين

لتسيطر عليهم بعد أن تتخلى عن سيادتهم بتمامها أو تحد منها إلى أبعد حد بحيث تصبح مجرد مظهر أو صورة ، كذلك مجتمعات أو أمم الصينية واليابونية لا تعرف لنفسها سلطان السيادة إلا بعد أن تتخلى عجافها وجموع همجها عن سيادات غيرها من الأمم لتبني بعد ذلك سيادتها وسلطانها الامبراطوري ، دام هذا السلطان كثيراً بعد ذلك أم لم يدم .

فالحد من سلطان السيادة أو تحويره جملة لا يمكن أن يأخذ غير طريق واحد هو دائماً طريق غير مباشر ، إذ أن هذا الحد أو التحوير لا يمكن أن يتحقق إلا عن طريق فرض الدولة ذات السيادة قوتها وسلطانها على دولة أخرى فتفقدها سيادتها أو تحيل هذه السيادة كما قلنا مجرد صورة أو مظهر ، بحيث تفقد هذه الأمة المسودة شخصيتها الدولية تماماً . أما أن تتنازل الدولة عن سيادتها جملة أو أجزاء ، عن طواعية ورضا ، فهذا ما لا يجوز تصوره بحال ولم يتحقق إلى اليوم !

وأما أن يتم هذا الالتقاء ، أو هذا التحديد لمدى سلطان السيادات ، عن طريق ادماجها جميعاً في ظل سيادة عالمية واحدة تمنح لدستور أممي عام ، فهذا أيضاً خيال من قبيل نظرية « التعاقد الاجتماعي » ، وإن يكن التعاقد ليس بين أفراد في هذه الحالة ، بل بين حكومات . ففي كلا الحالين لا يعدو الأمر حدود الخيال النظري العقيم الذي لا يستطيع أن يثبت أمام الواقع ، أو يتماسك عند عرضه على محك التطبيق العملي . ولا يمكن أن يحتج في مثل هذه الحال بأن دستور الولايات المتحدة الأمريكية يعد مثلاً مغرياً لهذا التعاقد الموموق بين الحكومات ، إذ أن الحالة الأولى قد تم فيها خلق حكومة المجتمع القومي خلقاً بتعاقد إرادات فردية ، أما في الحالة الثانية فان حكومة المجتمع الدولي ستخلق خلقاً بتعاقد حكومات كانت لها شخصيتها السياسية ، الأمر الذي لم يتوفر ، بتمام المعنى الاصطلاحي الحديث المقصود بكلمة حكومة ، في سلطات الولايات الثلاث عشرة التي تألفت من مجموعها حكومة اتحادية ذات نظام دستوري معين ، بعد مراحل من التطور السياسي والاجتماعي .

هذا إلى أنه فات هؤلاء المفكرين والباحثين أن الدستور في المجتمعات القومية يستلزم حالة من التماسك والاستقرار السياسي ، بله التضامن الاجتماعي و « السيكولوجي » بين أفراد المجتمع الواحد حتى يمكن أن تسري قواعده وتقدس مبادؤه إلى حد التضحية في سبيله . ومثل هذا التضامن الوثيق لا وجود له بالمجتمع الدولي ، ولن يكون له وجود ملموس في ظل الحقائق الراهنة التي لا نستطيع أن نجحد دلائلها الحاسمة .

فاذا قلنا إن حكومة عليا أو سلطة اتحادية عالمية من الميسور إنشاؤها أو تحقيقها بسبيل من التعاقد الارادي الحر بين حكومات العالم كله المشتركة في المنشآت الدولية اليوم ، وعلى رأسها هيئة الأمم ، وجدنا أن ثمة حقيقة رهيبة تحول علينا بوجهها الكالح من خلال

أشباح هذا الحلم الجميل ، وتتمثل في هذا الانشقاق المروع بين بنائين رئيسيين يتقاسمان اليوم مصير الحضارة ، ويخلقان جواً مشحوناً بالتوتر والقلق والريبة استطاعنا على تسميته بالحرب الباردة ، هذه الحرب التي بدأت تتفجر عن عدة أحداث جسام في الشرق الأقصى تنذر الانسانية وشيكاً بحرب عالمية ماحقة تندلع بين الشرق والغرب .

فالمثل الديمقراطي الحر الذي تنضوي تحت لوائه عشرات من الأمم السائرة اليوم في مدار السياسة « الانجلو أمريكية » والمنجذبة الى هذا المدار بوحي من ثقافته القائمة على المبادىء الليبرالية الحرة ، هذا المبدأ إذا استطاع يوماً أن يجند هذه الأمم كلها ليحقق بمجموع إراداتها الحرة تلك النقلة الدولية الجبارة التي تحيل نظام هيئة الأمم الحاضر إلى نظام سياسي آخر ، له سلطان الحكومة العالمية ذات الاقتدار العسكري والتنفيذي المهيمن على الحكومات المنضمة فيه وعلى مصاير ميراثها الحاضري المشترك ، فأنه لا يستطيع مع ذلك أن يجتذب إليه حكومة الاتحاد السوفيتي التي تخالف سائر هذه الأمم في جوهر النظام السياسي وفي طبيعة التوجيه الاقتصادي والاجتماعي لمقدرات وموارد الشعوب .

وما انشعابات الرأي الدائمة وأوجه الخلاف الجوهرية التي تثور من وقت لآخر حول موضوعات رئيسية وثانوية بين الكتلة السوفيتية الشرقية والكتلة الديمقراطية الغربية في جلسات مجلس الأمن وفي أدوار انعقاد هيئة الأمم ، إلا دليل بيّن وبرهان ساطع على أن طبائع الأشياء ذاتها ومنطق الحوادث في المجتمع الدولي الراهن ينحو بهذا المجتمع منحى آخر لا يتوافق البتة لأحلام هؤلاء اليوتوبيين من دعاة الدستور الدولي الواحد والحكومة العالمية الواحدة .

وإذ نسي من الأشياء شيئاً فاننا لا نملك أن ننسى تهديد الاتحاد السوفييتي تهديداً جدياً بالانسحاب من هيئة الأمم ، ومعه سائر الدول المنضوية تحت لوائه ، إذا مس حق « الفيتو » بتعديل أو تحوير ، ولو كان ذلك التحوير مقصوداً به صالح الهيئة وضمان حسن اضطلاعها بأعبائها الضخام في حفظ السلام والأمن الدوليين ، مع أن الحد من سلطان هذا الحق ومن مدى استغلاله للصالح الشخصي للدولة بات في طليعة المعضلات التي تتطلب من ساسة العالم وقادته المبادرة إلى علاجها بشجاعة وحزم يحفظان على الهيئة هيبتها ويصونان لهذا العالم الوجيل مؤسسته الدولية الكبرى . فاذا كان هذا شأن روسيا وسياستها من قضية الدائبة بحتة تهدف إلى خدمة السلام ورعاية تحرمانه ، فكيف يكون شأنها وموقفها من مشروع حكومة عالمية موحدة تسلبها سيادتها لتندمج ، وهي الوحيدة في نظامها ومنهجها الاجتماعي ، وسط كتلة أو سلطة حكومية عالمية تكون فيها سبيحة

الرأي هزيلة الشخصية إزاء غالبية ساحقة من الدول الأخرى الأعضاء في مثل هذه الحكومة؟

وانتدار حكومة كهذه على الهيئة العالمية المطلقة على مرافق السالم الاقتصادية وسياساته النقدية لمدى طليعة المهام المفروض اضطلاعها بها كوظيفة من وظائفها الرئيسية، لتجنيب العالم عدة أزماته وويلات حروبه وثوراته. فهل هذا أيضاً ميسور التحقيق في ظل الحقائق المؤلمة التي تسود المجتمع الدولي في مرحلته الراهنة والتي جعلت الاتفاقات التجارية الدولية وتوجيهات المؤتمرات الاقتصادية العالمية حبراً على ورق، ما دامت العملات النقدية لكثير من دول العالم الهامة بأوصاف مخيبة تتفاوت بين التعقيد واليسر أو بين السيولة والتعسرية؟

من الطبيعي أن الجواب على هذا لن يكون إلا النفي القاطع، فكما أن العالم منقسم اليوم على نفسه من ناحية المبادىء السياسية والمناهج الدبلوماسية والقيم الاجتماعية، فانه لا يزال منقسماً على نفسه كذلك من ناحية مذاهبه الاقتصادية وسياساته المالية والنقدية.

وخلاصة البحث في مثل هذا الموضوع تتركز في حقيقة واحدة هي أن القاعدة القانونية وحدها لا تستطيع كما ذكرنا أن تخلق نظاماً حكومياً دقيقاً وثابتاً بفضل تكامل أو تناسق أجزائه، فالسلطان في المجتمع السياسي يجب أن يكون انعكاساً أميناً لشخصيته وإرادته وتجسيداً صادقاً لضميره العام، فالمجتمعات السياسية هي التي تخلق كما قلنا الحكومات وليست الحكومات هي التي تخلق بمجرد وجودها المجتمعات السياسية. والسبب في هذا ظاهر بيّن، فلكي أن مجرد التشريع والصياغة التقنية الفنية لا يكفيان وحدهما لخلق نظام مرغوب فيه أو سلطان دائم الاستقرار، كذلك الشأن بالنسبة للقوة المسيطرة، فانها وحدها — كائناً ما كانت طبيعتها أو وصفها — لا تكفي لخلق نظام كامل ودائم.

لم تبق إذن إلا قوة المجتمع، أي قوة الرأي العام للجماعة، أو بالحري قوة الارادة الكلية للمجموعة التي تسيطر عليها مشاعر وتقاليد متجانسة. هذه القوة هي التي تستطيع وحدها خلق النظام القانوني وسلطته الحاكمة. أما سبيل الطغيان والدكتاتورية فمحفوف دائماً بالمخاطر والمصاعب، ولا تستطيع أية حكومة أو أي نظام قانوني يستند إلى مجرد القوة القاهرة أو الطغيان الغالب أن يصمد للعوارض المختلفة الناجمة عن رد الفعل الحتمي الذي يحدثه الطغيان أو القهر في نفسية المجتمع المغلوب على أمره المنكوب في حقوقه وحرياته.

وفي هذا يقول الباحث السياسي الكبير «إربك كاهلر»: «إن خلق حكومة عالمية مستندة إلى دستور عالمي كامل يكون جامع السلطات في المجتمع الدولي، عملية تشابه في عالم الأشياء الطبيعية عملية البناء المعماري، التي تتطلب عند التشييد إرساء طبقة الأساس السفلية لتقام عليها الجدران مستقيمة الأبعاد متوازية الزوايا. ومثل هذه الطبقة — أي

طبقة الأساس — تتمثل ، في المجتمعات الوطنية ، فيما سميناه بالنسيج الاجتماعي Social Tissue المتجانس الذي يخلق عناصر الوعي الجمعي ، وهو الوعي الذي تصدر عنه الإرادة العامة المرجعة للسلطات في المجتمع . فأين هي هذه الطبقة ، أو أين هو هذا النسيج ، الاجتماعي المتجانس في المجتمع الدولي ؟ نعم إن المجتمع الدولي لا يزال غير بأدوار نشوئه الأساسية ، فمن غير الطبيعي إذن أن تتوضح خيوط هذا النسيج ، وهذا المجتمع لا يزال في بداية تكوينه ، وهذا حق ، ولكن من الحق أيضاً أن الطريقة أو الأسلوب الذي تنسج به النظم الدولية لا تزال طريقة ناقصة بعيدة كل البعد عن أن تساهم في خلق مثل هذا النسيج بله توضيحه وتأكيد عراه في الأمد الزمني المعقول .

فإذا كانت أسس هذا المجتمع التي تثبت وجوده ما زالت تعوزنا ، فلا أقل من أن نحول تيار جهودنا وأنظارنا عن الخيالات والمثاليات البعيدة ، لنكتفي بما في يدنا في عالم الواقع فنعكف على اصلاح وصقل هذا « البرلمان الدولي » الناشيء ذي الدستور الأعرج . هذا البرلمان الممثل في « هيئة الأمم » بسائر وظائفها السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، كي نرأب من بنائه تلك الثغرات المميتة ومواضع النقص الأساسية التي كشفت عنها التجارب الأخيرة المرة ، حتى يستقيم لنا النظام بكامله » .

ترى هل اهتدى ساسة العالم من ديمقراطيين وشيوعيين واشتراكيين إلى هذه الحقيقة وهل زالم تركيا الخيال والنظريات أو قل الأنانية والتعصب جانباً ، وعكفوا بجد وصدق على اصلاح نظام الهيئة الحالي وتعديل نظامها الناقص بما يتفق وروح الحق والعدل في ظل هذا الواقع وظروفه لتساهم في خلق « نسيج اجتماعي متجانس » لمجتمع دولي يتضامن أبداً في احترام عقائد الشعوب ومذاهبها الخاصة في التنظيم السياسي والاجتماعي ، طالما أنها تهدف الى غرض سام ومرمى مشترك ، وهو المشاركة الفعالة ، وبنية خالصة ، في بناء مجد الحضارة وتقديس ميراثها العام بكل قيمه ومثله ، وضمان السلام والحرية والرفاهية الاقتصادية للشعوب صغيرها وكبيرها على حد سواء ، أم أن حرباً عالمية أخرى لا بدّ من نشوبها ، كائنة ما كانت أهوال تناتجها ، كي تتم هذه النقلة التي تنقذ هذا المجتمع الدولي من حالة التفكك والانحلال الراهنة وتحقق له التكتل والوحدة الكفيلتين بمناصرة نظمه العالمية العادلة الحرة ، ورعاية ميراثه الحضاري المشترك ... عندئذ نستطيع أن نوقن بامكان خلق رأي عالمي حر يكون في مقدوره أن يتبين من هدي وبصيرة أي شعوب الحضارة هو المسيء لها عن عمد وسوء قصد لنصرة صالحه الخاص ، وأيها هو الحفيظ على جلال الحق وحامي الذمار والحرمات .

ترى هل نستطيع أن نقول إن تيار الحوادث وموجة التطور تتجه نحو هذا الاحتمال الأخير .

الفلسفة والأدب

للأستاذ عبد الله عبد الرحيم

بين الفلسفة والأدب وشائج يجمعها صدق الإدراك وسلامة التعبير. وأول ما نشأت الفلسفة نشأت في الدولة اليونانية القديمة، وعُرِّفت بأنها « فيثاغورس » بأنها البحث عن الحكمة.

ومن ذلك العهد البعيد صارت الفلسفة ترمز الى كل رأي مبتكر أو علم جديد. وفي نطاقها تبرعرعت بحوث العلوم والأديان والمنطق.

وإذا كان « بلاتو » بعد « فيثاغورس » عناها بالاتجاه نحو الكمال، فإن « أرسطو » دلّل عليها بأنها العلم، وأحياناً أجازها على أنها علم الكائنات الحية Ontology.

وظلت على تداول العصور يشوبها بالابهام والغموض، حتى أنها اتخذت حجة للملحدين والخارجين على الدولة. وفي صراع المتنازعين اليها والمطاردين لها، ذهب كثير من العلماء ورجال الدين ضحية الاتهام والتنكيل، إما عن عداوة بين الحاكم والمحكوم وإما سعاية أريد بها الانتقام أو فتنة تثار بين الخاصة والدهماء.

وتقدمت العلوم وانتشت آفاقها، وأصبحت الفلسفة مشاعة تتداولها العقول، ولم تعد قاصرة على البحث عن الحكمة، بل تعددت مناهلها مع الاستزادة من المعرفة، وصار ارتيادها والمناظرة فيها يعتمد على البحث عن الحقيقة.

وغلبت على الشرق الفلسفة الدينية كما في الفلسفة الهندية التي بنيت على الحياة بعد الموت. والفلسفة الفارسية كما في فلسفة « ماني » وصراع الخير والشر، والفلسفة الإسلامية، كما في فلسفة ابن سينا والفارابي والغزالي وابن رشد وموسى ابن ميمون وغيرهم.

أما في الغرب فيمكن القول بأنها انقسمت مع التطور الفكري الى أربع فلسفات. فلسفة سياسية وهي خاصة بنظام الحكم وقيادة الشعوب، وفلسفة علمية وتخصر جانب العلم المحض ومنها اشتقت علوم شتى كعلم النفس (السيكولوجيا) وعلم الأحياء (البيولوجيا)

وعلم وظائف الأعضاء (الفسيولوجيا) وغيرها من العلوم الحديثة . ثم الفلسفة الروحانية وهي الفلسفة الدينية وما وراء الطبيعة . فالفلسفة الأدبية وهي موضوع مقالنا هذا .

وقد نشأ الأدب على العاطفة وما يحسه الانسان من شاعر في حالاته النفسية من حب وبغض ، وفرح وغضب وضحك وبكاء ، وشجاعة وخوف . وإنما دفعه اليها حاجته لسداد « مركب النفس » أو شفاء رغبته المكبوتة .

ويلتقي الأدب والفلسفة في الخصائص الانسانية فكلاهما يخلع على الوجود ما يجلو من خفايا أغواره العميقة الشاسعة . إلا أن الأدب (سواء في النثر أو الشعر) يفترق عن الفلسفة منصرفاً الى الشعور والتخيل ، بينما تتجه الفلسفة إلى التنقيب والتأمل .

ومتى كان الفيلسوف صاحب نظرية خاصة يعمل على تمحيصها وتحليلها بالمنطق والبرهان ، فان الأديب لا يعلق بفكرة معينة . لأنه أبداً رائغ البصر ، يعشق الشيء وضده ، ويكره ما كان يحب ويحب ما كان يكره . فهو في جذوة مضطربة غير مستقر ، لا يرى إلا بعينيه ولا يهدف إلا لما يهواه .

فطبيعة الفيلسوف الغوص وراء المجهول ، وطبيعة الأديب التطلع الى ما يوحي اليه من أنماط وألوان .

ولقد عاش « شوبنهور وجوته » في عصر واحد وفي بيئة واحدة فنشأ الأول بحياته وملكته عبادة « القوة » وأغرت الثاني الخيالات والأحلام فتعبدت به عبادة « الجمال » .

ومن الشعراء من تتسلط عليه روح الفلسفة والحكمة عندما تطول به السن وتعتله نجارب العمر . ومنهم من النفس في الفلسفة إما بدافع نفسي كأن أصيب بنكبة جارفة قلبت الأوضاع في نظره ، كما حدث للشاعر الايطالي « دانتي اليجيري » أو وفاة معشوقته « بياتريس » ، والشاعر الفرنسي « فولتير » بعد فظيعة الماحل الالماني « فردريك » . والشاعر الانكليزي « جون ملتون » عقب فقد بصره وعزلته في الريف في أعتاب ثورة « كرومويل » . والشاعر العربي الحكيم « أبي العلاء المعري » بعد فشله في « بغداد » واضطراره للعودة الى مسقط رأسه بالمعرة في الشام رهين المحبسين . وإما بدافع خارجي كعدم توافق الشاعر والبيئة التي يعيش فيها أو تحامله على الوالي كما حدث للشاعر الفرنسي « فيكتور هوجو » والشاعر الانكليزي « كورد بيرون » والشاعر العربي العظيم « أبي الطيب المتنبي » .

على أن النزعة الفلسفية تظهر في قصائد الشاعر قبل أن تتمكن منه ويتغلغل فيها ، كما ظهر في قول المعري وهو لا يزال يافعاً . ومن ذلك قوله في رثاء أبيه : —

حبلنا ، فلم نحزن على الحرص ما الذي ... يراد بنا ، والعلم لله ذي المنّ
إذا غيّب المرء استشير حديثه ... ولم تخبر الانكار منه بما يعني
تسلّ العقول الهبريات رشدها ... ولم يسلم الرأي القوي من الأفن
وما قرنت شحساً من الخلق ساعة ... من الدهر إلا وهي أفتك من قرن
وجدنا أذى الدنيا لبيداً ، كأنما ... جنى النحل أصناف الشفاء الذي يجبي
وخوف الردى أوى الى الكهف أهله ... وكلف نوحاً وابنه عمل السفن

ظننت يقيناً يا جهينة منهم ... ولم تخبريني يا جهينُ سوى الظن
فان تمهليني لا أزال سائلاً ... فإني لم أعط الصحيح ، فأستغني

وقد كان مثل هذا الشعر في وقته يعتبر جديداً في معناه ومبناه فالنقاد نوعاً من الغريب وإن استساغته الافهام لطرفه من صيغة التعقيد التي برز فيها شعر البحتري جاءت أشبه بالنظم المرصوف . ولا يفهم من هذا أن أبا العلاء هو أول من استنبط هذه المعاني الفلسفية بل سبقه من قبل « بشار بن برد » و « أبو تمام » و « ابن الرومي » وغيرهم . ومع ما في شعرهم من خرلة ورصانة فان العامة لم تألفه في زمانهم واعتبرته شيئاً بعيداً عن الشعر . وفي هذا يقول أبو تمام يخاطب الوزير الاديب محمد بن عبد الملك الزيات في قصيدته التي أولها : —

متى أنت من ذهلية الحي ذاهل ... ولود ، وأم العلم جدّاء سائل
أبا جعفر ، إن الجهالة أمها ... شعوبٌ تلاقت دوننا ، وقبائل
أرى الناس والدهماء أضحوا كأنهم ... أبٌ ، وذوو الآداب فيهم فواقل (١)
غدوا ، وكأن الجهل يجمعهم به ... يعرّد (٢) ضبا الاعوجي (٣) المناقل (٤)
فكن هضبة تأوي اليها ، وحرّة ... تناسب روحانية من يفاكل
فان الفتى في كل ضرب مناسب

وفيها يمدح الوزير في أبياته المشهورة : —

لك الخطرات اللاء لولا نجيها ... لما احتفلت للملك تلك المحافل
لك القلم الأعلى الذي بشباته ... تصاب من الأمر الكلى والمفاصل

إلى آخر القصيدة .

(١) فواقل : ج فاقة — الفيء تنتقل الى أخرى تشبه اليها (٢) يعرد : يجرب
(٣) الاعوجي : فرس منسوب الى بني هلال (٤) المناقل — سريع السير .

نسائيات

زلال الحمل

للدكتور عبد العزيز رزق

إذا كنت تريدين يا سيدتي — وأنت — تريدين بلا شك أن تحتفظي بصحتك، وتبقي سالمة صحيحة وتقطعي مرحلة الحمل مطمئنة الفكر خالية البال دون أن يحدث لك ما لا تحمد عقباه، فنصيحتي اليك أن تصلي بما نشرحه في هذا المقال وتعيريه الاهتمام الذي يستحقه. والموضوع الذي أريد أن احدثك به اليوم من أهم المواضيع التي يجدر الانتباه اليها بالنظر لخطورتها، كيف لا، والزلال الذي لم يؤبه له أو لم يلتفت اليه ويعالج العلاج اللازم في حينه، مصيره السيء ولا ريب حدوث الارجاج النفاسي[1] Eclampsie الذي هو عبارة عن تشنجات عنيفة شبيهة بتشنجات الصرع والهستريا، جميع حدوث عوامل أخرى وخيمة العاقبة كالزف وراء المشيمة وغيره مما يعرض حياتك وحياة جنينك إلى الخطر.

فوجود الزلال في البول أيام الحمل — ذاك الذي يتسبب خصوصاً من وجود الجنين

---

(١) يحدث الارجاج أو التشنجات النفاسية مرة واحدة تقريباً على ٥٠ ولادة، ويغلب حدوثه بنوع خاص عند البكارى وعند القوابل أرملين عادة متعددة وانقباضاتها شديدة يساعد على حدوثه في أثناء الحمل وجود الزلال والتورم. ويظهر المرض في معظم الاحيان ساعة الوضع، وقد يظهر في مدة الحمل أو على اثر الولادة. وقد يكون ظهور الارجاج أيضاً من غير أن تسبقه اعراض منذرة.

ويستنتج من بعض الاحصاءات الرسمية ان لكل ٣٤٦ حالة من هذا المرض عند الحوامل ١٢٠ منها كان حدوثها في أثناء الوضع، أو ٦٤ على أثره. ومن النادر أن النساء القوابل أصبن بالارجاج سنة بعد سنة أيضاً في الولادات التالية. هذا وقد رؤى ان بعض التأثير في احداثه، فقد ذكروا أن حالة بكاملها قد أصيبت به (الام وابناءها أولا)، ثم الابنة الثالثة من نفس العائلة وهي في الشهر السادس من الحمل وقد نالت الشفاء. وأخيراً الابنة الرابعة: وعندما لم يظهر عندها في أثناء الحمل أية علامة لوجود الزلال في البول، لكنه ظهر عندما جاءت قبل الولادة بخمسة عشر يوماً بنسبة عالية مما أدى الى وفاتها نتيجة التشنجات التي حصلت عندها في بداية الوضع.

في أحشاء أمه — من العوارض المهمة الخطيرة التي يجب الاهتمام بها والعمل على ملافاتها قبل أن يستفحل أمرها ويتعذر شفاؤها . فقد تكون السيدة مصابة بزلال مرضي يأتي مع الحمل يزول بعد الولادة ، أو بزلال كان موجوداً عندها قبل الحمل كعرض رابط مثلا Maladie de Bright مرض مثل هذا المرض يكون للسيدة وذويها علم به من طبيبها المعالج وتبقى مستمرة على اتباع المداواة نفسها كما كانت قبل الحمل . أو تكون مصابة بزلال منشأه التهاب أو مرض آخر في الكلى يعود سببه إلى البرد أو إلى الاصابة بالحمى القرمزية أو عدوى أخرى وقعت قبل الحمل أو في أثنائه . فهذه الحالات لا تهم كثيراً ، غير أنه يجب الالتفات اليها لأنها تزيد عادة في وطأة الزلال عند الحامل . ولكن أكثر حالات الزلال خطورة هو الذي يتسبب ، كما قلنا ، من وجود الجنين في أحشاء أمه ، وتبدو حينئذ تتأجه الرحيمة سواء قبل الوضع أو في أثنائه ، ومنشأ ذلك كله احتقاص الدم للسموم التي تسبب تلك التشنجات . والزلال نفسه تراه يزداد في أثناء الحمل في البداية إلى النهاية ويساعد على حدوث نزف دم غزير عند الحامل مما يتبع الطبيب المولد في مأزق حرج ولا يدري ماذا يعمل في غالب الاحيان حيال هذه الحالة ولا سيما حيال اعراض التشنج المشار اليها .

﴿أعراضه المنذرة﴾ أهم العلامات التي تنبئنا بوجود الزلال في البول بصورة لا تقبل الجدل هي أن تشكو الحامل من تعب زائد في جسمها وصداع مستديم وأوجاع في أسفل البطن وفي منطقة الفقرات القطنية ، واختلاجات عضلية ، ودوار ، وتشوشات الرؤية ، والتقزز وفقد الشهية إلى الطعام ، والقيء ولا سيما إذا ظهر تورم في الوجه والجفون واليدين والرجلين مع ازدياد في ضغط الدم فيجب حينئذ أن نشك في أمرها . ثم تأتي بعدئذ نتيجة فحص البول الايجابية فتأيد لنا إذ ذاك أن السيدة المشار اليها مصابة بالبيلة الآجينية Albuminurie

وليس ضرورياً أن تكون جميع هذه العلامات موجودة للاستدلال على وجود الزلال في البول ، بل ان علامتين أو ثلاثة منها تعتبر كافية لتحذيرنا وتنبيه فكرنا لقيام بالعلاج السريع .

ومما يجب الاشارة اليه هو أن زلال الحمل لا يرافقه في أغلب الاحيان أي اذى أو التهاب في الكلى ولذا يجهل السبب الحقيقي لوجوده في البول : هل ذلك عائد إلى استعداد خاص في مزاج المصاب ، أو إلى رداءة حالة الصحية ، أو إلى وجود عائق ميكانيكي عنده (ورم مثلاً) أو أخيراً إلى ضغط دم ؟ الخ ... والغالب أن احتقاص الدم

السم ابان الحمل ، كما قلنا ، هي التي تسبب تلك الحالة الخطيرة عند بعض الحوامل .

﴿سيره﴾ يختلف هذا باختلاف حالة المريض ، ففي بعض الاحيان يكون الزلال حميدًا وتزول أعراضه بفضل المداواة والعلاج وان كان يعتري الحامل احياناً بعض أدوار خطرة نسبيًا . وفي احيان أخرى يأخذ المرض شكلاً متقطعاً وتظهر فعلاً على الحامل امارات التحسن أو الشفاء ، لكنه يعاودها أو يهاجمها في كل حمل جديد ، فهذه الحالة هي التي يلاحظ فيها خصوصاً موت الجنين خارج الرحم ، وإذا ولد هذا فيكون هزيلاً ضعيفاً ناحلاً . ومع ذلك فهو ينمو ويترعرع في المستقبل كالاطفال الآخرين .

﴿علاجه﴾ تدابير واقية يتحتم على كل حامل مهما تكن حالتها الصحية أن تفحص بولها فحصاً منتظماً حينما تشعر بحملها لتتثبت من وجود الزلال فيه أو عدمه ، وتستمر على هذا الفحص طيلة مدة الحمل دفعاً للفاجآت وعواقبها الخطيرة المعرضة لها ، وبذلك تبقى في حرز حريز من غوائل هذا الداء وتصون حياتها وحياة طفلها . وانه لسر الحق أمر بسيط جداً في حد ذاته لكنه ضروري في أهميته . ولحسن الحظ نرى كثيرات منهن يدركن هذه النقطة الهامة ويبادرن حالاً لمراجعة الطبيب لمعرفة ما إذا كان يوجد ضدهن زلال في البول مهما تكن أسبابه وبواعثه . وعلى كل يجدر بكل حامل أن تراجع الطبيب في مدة الخمسة أشهر الاولى مرة في كل شهر ، وفي الشهرين السادس والسابع مرتين شهريًا ، وفي الشهرين الثامن والتاسع مرة واحدة في كل اسبوع وتستمر على ذلك ما دام الزلال موجوداً . وعندما تكون نسبة الزلال عالية في البول فعليها ألا تتناول سوى اللبن الحليب لمدة ثمانية أيام وتتجنب جميع المواد الزلالية كالبيض واللحوم . وإذا كانت نسبة الزلال في البول خفيفة فتبقى مستمرة على تناول الحليب كالعادة ويسمح لها في الوقت نفسه بأكل الخضر والبقول والحبوب البيضاء (كالاسماك والدجاج ولحم العجل والحمام) والفواكه بكثرة ، وتشرب الشاي والقهوة الخفيفة ، وإذا تعذر عليها تناول اللبن الحليب وحده فيمكنها أن تستعيض عنه بماء اللبأ أو ماء فيشي وغيرها من المياه المعدنية ، أو أن تتناول اللبن الحليب ممزوجاً بالمياه المعدنية . وتتحاشى كذلك الأطعمة المملحة مهما تكن نسبة الملح فيها ضئيلة . وتحترس خصوصاً من البرد ، وتستعمل المنبهات بين وقت وآخر ، وتكون حياتها هيئة هادئة .

فاذا اتبعت يا سيدتي هذه الارشادات بدقة وعناية تبقى في مأمن من ويلات هذا الداء الذي طالما أودى بحياة الكثيرات من بنات جنسك نتيجة الجهل والاهمال .

باب الأمر بالسلامة والمبادرة

أرتريا الجديدة

للدكتور احمد زكي ابو شادي

إن روح الاسلام في صميمه جمهورية اشتراكية. وقد أبى نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم ملك الاسلام حينما عرض عليه ، وفي الواقع كان بدء الانحلال في المسلمين (وإن بقي زمناً طويلاً مستوراً) منذ استبدلوا النظام الجمهوري — نظام الانتخاب الصحيح — بالنظام الملكي الوراثي. ومن شاء زيادة الاطلاع فليقرأ سيرة الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري ، وليطالع بإمعان كتاب (من هنا نبدأ) لفضيلة الشيخ خالد محمد خالد المعدود من أعمق علماء الدين المستنيرين بمصر. وهو كتاب يجب أن يكون بين يدي كل مسلم متعلم في ارتريا ، بل جدير بأن يكون دستوراً للمصلحين الاجتماعيين والدينيين فيها.

وقد كنت أتمنى أن أكون في طليعة المهنئين لاخواني الارتريين باستقلالهم وبجمهوريتهم المدنية الجديدة المؤسسة على أحدث المبادىء العصرية.

أما وهذه الامنية الجميلة لم تتحقق فلي أن أهنئهم على الاقل بنجاتهم من شر التقسيم الويل الذي كان سيقضي على وطنهم العزيز ويجعله نسياً منسياً ، والذي لم يعقده أي وطني بصير بأمره.

وإذا كان النظام الفدرالي الذي أقرته (هيئة الأمم المتحدة) هو في اعتقادي وفي اعتقاد كل منصف دون ما تستحقه ارتريا ، إلا إنه مع ذلك يعطيها استقلالاً داخلياً كاملاً ويضعها في مستوى أحسن مما كانت عليه مصر حتى سنة ١٩٢٣. وإذا أحسن الزعماء الارتريون الاستفادة من هذا الاستقلال الداخلي وحرصوا على نزاهة الحكم وعلى الوحدة الوطنية وسابقوا الزمن في ادخال الاصلاحات الحديثة من اقتصادية وتعليمية فلا مشاحة أنهم سيتبوئون بارتريا مهضة عظيمة تجعلها في الصف الأول بين الأمم الاسلامية.

وأول هذه الخطوات أن يكون لارتريا دستور علماني صرف مثل الدستور الأمريكي ،

وأن لا ترتكب الفضيحة الفاحشة التي ارتكبتها مصر حينما لم تفصل الدين عن الدولة فخرجت بذلك وحدتها الوطنية .

أما ثانية هذه الخطوات فالنهوض باقتصادياتها، وهذا يعني إدخال نظام الري والاصلاح الزراعي الحديث والصناعات الميكانيكية والكهربائية . ولتحقيق ذلك لابد من الاتجاه الى ثلاثة أقطار . الولايات المتحدة الأمريكية للانتفاع ببرنامج «النقطة الرابعة» المنسوب الى الرئيس ترومان وللاستفادة من خبراتها الفنيين القديرين ، وباكستان ومصر للاستفادة من مهندسي الري فيها المتمرنين على حل مشاكل مماثلة لما تواجهه ارتريا الآن وهذا يعني إرسال بعثة اقتصادية اممية تزور هذه الأقطار الثلاثة للانتفاع على الوجه المطلوب وهذا أمر لا يتعارض مع النظام الفدرالي لأنه لا يمس الشؤون الخربية ولا السياسية الخارجية بصورة من الصور ولابد من الاهتمام بحسن تصريف حاصلات ارتريا مع زيادة منتوجاتها جنباً الى جنب.

أما ثالثة هذه الخطوات فتعميم التعليم المدني العصري في القطر . ولمعاونة على تحقيق ذلك أقترح إرسال بعثة ملائمة الى وزير المعارف المصرية الدكتور طه حسين باشا ، فان هذا الرجل «الانسان» لن يبخل بإعارة ارتريا الرجال الفنيين اللازمين ، وكذلك قد تفعل الباكستان . وربما تمكن الدكتور طه حسين باشا من تأسيس معهد أو مدرسة ثانوية في أسمرا نظيرة للمدرسة الثانوية المصرية في الخرطوم . هذا الى جانب تعليم الحرف والصناعات والتعليم التجاري مما لا غنى للأمة عنه .

والى جانب الجهود الرسمية يجب على جامعة المثقفين الارتريين أن تهتم بنشر المؤلفات الصغيرة المفيدة على جمهرة الشعب كما تفعل (دار العلم للملايين) في بيروت مثلاً، حتى يمكن رفع مستوى الشعب الفكري رجالاً ونساء بأسرع ما يمكن. ولابد من اصدار مجلة أدبية راقية مثل مجلة (البشير) في باكستان أو مجلة (العرب) في الخليج الفارسي أو مجلة (الكتاب) في مصر أو مجلة (الأديب) في لبنان.

وخير ما يمكن الانتفاع به من بريطانيا هو دراسة نظامها الاشتراكي المعتدل وكذلك نظام الجمعيات التعاونية والاقتباس منهما ، فهما يتفقان وروح الاسلام التقدمية . ومن الحكمة كل الحكمة تجنيب ارتريا الجديدة ويلات الرأسمالية حتى لا تنقل من استغلال سياسي الى عبودية اقتصادية .

وأخيراً أقول لاخواني الارتريين الأعزاء :

ولطالما بنت الشعوبُ حياتها بثباتها ، وهوى الردى بحرابه
إن الزمان حليفُ كل مجاهد والصبرُ قبل السيف من أسحابه

التقويم الزراعي

لشهر مارس ١٩٥١

(١) — ﴿ العاملات الزراعية ﴾

البرسيم — يستمر رشه ويعمل الدريس

الفول — يبدأ في ضمه في أواخر الشهر وبالأخص في الوجه القبلي

القمح والكتان — يروى وتنقى الحشائش

القطن — تستمر الزراعة والترقيع (والخربشة) والري

القصب — تستمر زراعة الغرس . كسر الخصول السابق مع حرق (السعير) .

ري الخلفة الأولى فج خطوط الخلفة .

الأرز — تجهيز الأرض وبعد المشتل .

(٢) — ﴿ البساتين ﴾

(ا) — الفاكهة : يستمر نقل وزراعة الأشجار . تمزق الأرض خفيفاً لتغطية الشقوق والابقاء على الرطوبة .

تسد الأرض بالأسمدة الآزوتية قبل ازهار الأشجار .

الري . غرس الشتلات . التطعيم .

(ب) — الخضر : زراعة البقل والبطيخ والشمام والخيار عروات جديدة . شتل الباذنجان والطماطم والفلفل . تزرع عروة مبكرة من بزر الكرنب والقرنبيط (في أواخر الشهر) . يمكن الاستمرار في زراعة بذور الكرفس

(جـ) — الأزهار : تزرع بذور الحوليات الصيفية . تنقل عقل الأراولة التي زرعت في بنابر الى قدور (فصار) أكبر . تكاثر الأشجار والشجيرات بالبذور والعقلة والمقلة .

(٣) — أهم الآفات : يبدأ نشاط دودة القطن في البرسيم والدودة القارضة والتربس في القطن ، ويجب المبادرة بالعلاج .

* *

مكتبة المقتطف

النشر العلمي للتراث العربي

زبدة الحلب من تاريخ حلب

تأليف : العلامة كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله « بن العديم »

حققه ووضع فهارسه : الدكتور سامي الدهان — نشره : المعهد الفرنسي بدمشق للدراسات العربية

الجزء الأول : ٣٦٤ + ٨٠ صفحة من القطع الكبير وثلاث لوحات — للطباعة التكاثوليكية في بيروت سنة ١٩٥١

عرض وتحليل : للأستاذ حسن كامل الصيرفي

لم يعد خافياً على نفر من أهل الفكر في الشرق العربي أن من أوجب الفروض عليهم القيام بنشر تراث الفكر العربي في عصوره الغابرة إذ ليس من الخير لنا أن نقطع ماضينا قطعاً ، وفي ماضينا ما هو خير من كثير في حاضرنا . كما أنه ليس من الفخر لنا أن تكون عناية الغرب منذ قرون بماضينا ، تلك العناية الواسعة التي بذلها السلف الماضي من خيرة المستشرقين بإحياء كثير من آثارنا الفكرية في شتى نواحي المعرفة .

نعم ، ليس من الخير أن نقطع صلتنا بالماضي المجيد ، وليس من الفخر أن يقوم الغريب بإحياء آثارنا وبعث تراثنا ونشرها نشراً علمياً صحيحاً ، يشترك في ذلك الأفراد والجماعات التي تتوازر هؤلاء الأفراد ، ولا نستطيع نحن ذلك بالتكاسل من ناحية وتقاعس الهيئات التي يجب عليها مؤازرة مثل هذه الجهود من ناحية أخرى ، فلا ينهض بذلك إلا الورّاقون الذين يتقرفن أمام كل رقعة يديها المحقق الباحث .

ونحن أزاء ذلك لا نستطيع أن ننكر جهود المستشرقين فيما نشروا وحققوا من مخطوطات نوادر ، ووضعوا الفهارس التي تقرّب للباحث بغيته ، فلا يضل في متاهات البحث .. ذلك كان جهد السلف الماضي من المستشرقين ، أما المحدثون منهم فقليل من

تتبع الركب الأول في طريقه فأصبح لزاماً على أبناء العربية أن ينبشوا بين الكتب ، ولهم من البصر بفهم أسرار اللغة ما كان يؤخذ من أسباب التقص على بعض المستشرقين .

وعندي أن النشر العلمي لكتاب لا يقل في مجده الأدبي عن التأليف إن لم يزد في بعض الأحيان ، فان ردّ أصل مشوّه الى حقيقته وأظهار ما طمس الزمن عليه ليس بالجهد الذي ينكر أو يجحد أو يوضع في مرتبة أدنى من مرتبة التأليف ، ذلك أن في هذا العمل إعادة تأليف الكتاب من جديد ، وهيّا لقرون العاشة بالأثر لنشره نشراً جديداً فيه معاني الخلود .

وأنه لما يبعث على السرور أن ينهض نفر — وان كان قليلاً — من الباحثين بهذا الواجب ، وفي طليعة هؤلاء صديقنا العالم المحقق الدكتور سامي الدهان . فهذا الرجل ذخيرة من شباب وثاب طموح ، وفكر منقد لماح ، وبصيرة نفاذة نقادة ، وعلم واسع الأطراف ، واطلاع بعيد المدى ، وهمة لا تعرف الكلال والملال . فلقد أخرج منذ عامين ديوان أبي فراس الحمداني ، ولم يكد الكتاب يفرغون من درسه والكلام عنه حتى نشر كتاب الوزير أبي القاسم الحسين بن علي المغربي « في السياسة » ثم أعقبه بنشر ديوان « الوأواء الدمشقي » الذي ما زالت تتحدث عنه أندية الأدب .

وما كاد العام الحالي يطل على العالم حتى كان الدكتور الدهان يسلم اليه نخبة من تحقيقاته الجديدة ، سنعرض واحداً منها ، وهو الجزء الأول من كتاب « زبدة الحلب من تاريخ حلب » لابن العديم ، ليبشر على الناس بعد حين التاريخ الكبير الذي وضعه ابن العديم لحلب والذي انتزع منه « الزبدة » مرتبة على السنين ، وهو « بغية الطلب في تاريخ حلب » مرتباً على حروف المعجم في أربعة عشر مجلداً . وهذا الى جانب النواحي الأخرى التي يرعاها ويعمل على تحقيقها ، وهي آثار شعراء العهد الحمداني وغيره من النفائس .

ومن أطلع على أول أثر نشره الدكتور سامي الدهان — وهو ديوان أبي فراس الحمداني — لمحاه ما عنّى به نفسه في المقدمة الفرنسية ، وهي الرسالة التي قدّمها لجامعة باريس فظفر بدكتوراه الدولة ، فانه أشار في تلك المقدمة الى عدد كلمات الشاعر الى جانب بيان عدد أبياته في كل فن من فنون القول . فهذه الاحصاءات مثل لهذا الجهد تتبين منه بوضوح مدى الاهداف البعيدة التي يضعها نصب عينيه ، بل هذا العدد الضخم من مخطوطات الديوان وقد بلغت أربعين نسخة موزعة في مختلف بقاع الأرض ، راجع عليها نصوص الديوان وأخرجه في أتم أصول التحقيق العلمي .

هذا هو الناشر الذي وهب حياته لتراث خالد ، وهو الذي حمل الآن الراية التي كان المستشرقون يبادرونا بشطها في نشر الثقافة العربية .

*

أما المؤلف الذي أرضى الناشرُ المحقق روحَه بعد سبعة قرون على انتقاله من الوجود فهو الفقيه ، العالم ، السفير ، الأديب ، الشاعر ، المؤرخ المؤرخ الساحب كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله المولود عام ٥٨٨ هـ والمتوفى سنة ٦٦٠ هـ الذي قال فيه ياقوت « لم يعن بشيء إلا وكان فيه بارزاً ، ولا تعاطى أمراً إلا وجاء فيه مبرّزاً » . وقال فيه ابن شاكر الكتبي « كان عمدتاً فاضلاً ، مؤرخاً صادقاً ، وفقيهاً مفتياً ، ومفشقاً بليغاً ، وكاتباً مجوداً ومدرّساً وأديباً ومصنفاً ، ومرسّلاً عن الملوك ، وكان رأساً في الخط لا سيما النسخ والمراشي » .

وقد أطلعنا الدكتور الدهان في المقدمة النفيسة التي قدّم بها الكتاب على الجوانب المتعددة من حياة ابن العديم ، فها نحن معه حين ولي التدريس وعمره ثمان وعشرون سنة في مدرسة شاذبخت ، وهي من أجل مدارس حلب ، وفي تلك المدينة من فيها من شيوخ العلم الراسخين ، ولكن مكانة ابن العديم الرفيعة جعلته في مكان الصدارة ، وترله بعد ذلك قلد القضاء فكانت مكانته عند الملوك والأمراء والخلفاء لا تقل عن مكانته بين رجال العلم والأدب ، فقد « كانت المراسيم تقام للصاحب ، فلا يدخل عليه إلا من يؤذن له ، ويقدم إليه السلطان الهدايا فيوزعها ابن العديم فيمن حضر » .

ثم نراه في سنة ٦٥٤ هـ — على ما رواه أبو الفداء — « رسولاً من الملك الناصر يوسف صاحب الشام الى الخليفة المستعصم ، ومعه تقدمة جليلة ، وطلب خلعة من الخليفة لمخدومه » . كما نراه مرة أخرى « رسولاً من صاحب دمشق الناصر بن العزيز يستنجد المصريين على قتال التتار بأنهم قد اقترب قدومهم الى الشام » .

ويعرض علينا الدكتور الدهان رأي الشعراء فيه ، وما مدحه به بعضهم كالجزار والبهاء زهير وغيرهما ليحدثنا بعد ذلك عن شعره الذي رواه ياقوت ، وكان ابن العديم لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، ثم مات ياقوت قبل ابن العديم فلم يحفظ التاريخ شيئاً غزيراً من شعر الرجل يمكن به أن يستدل على طريقته بعد الثلاثين .

على أن الدكتور سامي لم يقتصر النشر فيما نشر من شعر الرجل ، فهو إذ يعرض علينا صوراً من شعره في الغزل ، ينتهي منها الى الحكم عليه بأن أغراضه في هذا الباب

« كأغراض الشعراء الذين عاصروه سواء بسواء لا يختلف عنهم ولا يختلفون عنه ، رقة ديباجة ومتانة سبك ، ورجال استعارة وتشبيه » .

أما النثر عنده فهو « الصادق الذي لا تلتمع فيه سيوف ولا تعطى منه دماء ولا تبدو فيه جر الشعر ، فلم يكن أجداده ممن دخلوا الحروب .. وانما هو قضاة تولوا الحكم بين الناس فأقاموا سبل الحق ... وهم خطباء فصحاء وكتاب بلغاء . . وهم يستمدون سنة الشريعة السمحاء فهو ساطع مخلصون ... وهم الى جانب ذلك كرماء من أسرة شاعة القرى في العلم والدين والتقوى والندى من بني عقيل » . . ولا يرى « في أسلوب النثر عند ابن العديم معاظلة في اللفظ ، فهو ينظم في العجز كما ينظم في الغزل في عبارات سلسة هينة تجري مجرى الشعر الفصيح الرقيق ولا تختلف عن أسلوب النثر الرفيع إلا في تحليق الخيال وسمو الموسيقى وجلال القافية في ترتيب وتدرج وتماسك وارتباط مع أن عصره زخر بالنثارين المتعمدلقين » . . هذا في غزله ونثره . أما في إخوانياته ورثائه الذي لم يصل منه إلا قصيدة رثى بها بلده حلب بعد أن مر التتار به « فتركوا على كل بقعة فيه بصمات أصابعهم المجرمة » فهو ينطق في هذين اللونين من الشعر عن شاعرية غير متكلفة ولا متصنعة .

هذا عن شعره ، أما عن نثره فيقول الأستاذ الدهان إن « من قرأ كتب ابن العديم النثرية وجد أنه ناثر بليغ كما وجد في شعره أنه شاعر مجيد ، في لغة قوية وبيان متمكن يقع من اللغة وفصاحتها موقع الفحول المبرزين » .

ولقد رأينا فيما سطر آنفاً لابن العديم كفاض عالم واستاذ حجة وسفير حكيم وشاعر ناثر . وبقي أن نرجع الصورة التي رسمها له الدكتور الدهان كمؤرخ ، فهو في تاريخه الكبير لحلب « لم يثبت خبراً إلا ذكر المصدر الذي استقى منه ، ولم يورد شعراً إلا وصف لنا الديوان الذي وصل إليه أو الكتاب الذي قرأه فيه ، ولم يسرد حديثاً أو حكاية إلا قال : سمعت ، وقرأت ، وأخبرنا ، وحدثنا ، وحضرت بوشاهدت ، وأنبأنا ، وقال لي عمي ، وقال لي الوزير ، وقال ابن العجمي ، ووقع إليّ من كتاب فلان ، وسيّر إليّ القاضي أبو محمد الحسن بن ابراهيم الخشاب أوراقاً بخطه ذكر أنه نقلها من فلان وفلان .. إلى أقصى ما يستطيع أن يسمعه رجل ثقة ومؤرخ حجة وحدث ثبت وقاض منصف حين يسمر التاريخ » .

ولقد كان ابن العديم « منصفاً في تاريخه ، حيادياً في تأليفه ، ذكر المسلمين بما فيهم

من عيوب وما لهم من فضائل ، وبسط الأمر في انكسارهم وفضله في انتصارهم ، لم تقع له على مدح متجاوز أو قدح مغرض ، ولم نر في أسلوبه أثر العاطفة الدينية والسياسية والاجتماعية » حتى أنه لم يأخذ عليه واحد من المستشرقين الذين نظروا في كتاب الرجل وحزبه أو تعصبه أو خروجه عن حدود التأريخ العلمي ، نهو يروي حوادث الصليبيين في حياد — وهو قاضي المسلمين — كما يرويها مؤرخوهم حين ينشدون وجه الله والحقيقة »

وإلى جانب هذه الفضائل في ابن العديم المؤرخ فان له فضيلة أخرى ، ذلك أنه مؤرخ حقاً ينقل لنا العبارات المتداولة واللهجات السائرة ، والأقوال والحوار كما جاءت في القديم ، فهو بذلك مرجع لمن يريد أن يدرس اللغات واللهجات على مر القرون واختلاف البقاع والمناطق والأديان والمذاهب »

ذلك هو المؤلف الذي شهد أثره بعثة على يد مواطنه « سامي الدهان » بعد سبعة قرون بعثاً فيه كل معاني القوة والحياة والخلود .

وقد ذكر الناشر في مقدمته القيمة مؤلفات ابن العديم فحلل ما حفظه الزمن سليماً — ومنه ما هو نادر الوجود حصل الناشر نفسه أو اطلع على مخطوطه النادر — تحليلاً دقيقاً وأشار الى المفقود منها إشارة تكاد تقربه الى أعيننا .

•

أما الكتاب الذي نشر على الناس كاملاً فهو فن من فنون التأليف الذي برع فيه العرب وسبقوا به كثيراً من الأمم ، وانقطعنا نحن عن متابعة أسلافنا في هذا الفن ، وهو التأريخ لبلد ما والترجمة له ، فالخطيب البغدادي يؤرخ لبغداد ، وابن عساكر لدمشق ، وابن العديم لحلب وابن اياس الأزدي للموصل ، وابن تغري بردي للقاهرة ، وغير ذلك . وألف ياقوت معجم البلدان ولم يكتف بتحديد موقع البلد والتعريف به بل أنه ليذكر من نشأ في كل بلد من مشاهير الأعلام وما قيل من الشعر في ذكر البلد . ونحن في أشد الحاجة الى البحث عن آثار السابقين من أعلامنا في هذا الباب ونشرها على الناس اذا لم تكن لدينا الرغبة في الانقطاع الى التأليف فيه .

« وزبدة الحلب » هي ثاني كتابين ألفهما ابن العديم عن موطنه أراد بها الرجل «أن يصف موقف حلب السياسي بين المنازع السياسية المختلفة في ذلك العهد والتيارات المتباينة طوراً تدفع المصريين عن حلب ، وطوراً تدفع الروم ، وحيناً تخرج على الخلافة ببغداد وحيناً تخضع لها . ويصف الهدايا والرسائل التي كانت تقرب بين الممالك ، ويذكر أسباب

النزاع والتخاصم ، وشروط الهدنة وأخبارها » .

فأما الجزء الأول الذي نشر من أجزاء الزبدة الثلاثة فيبدأ بالكلام على المدينة في قديم الزمان ، وذكر تسميتها واشتقاقها . وذلك من لدن كان ابراهيم الخليل يسمع أثقاله على تل قسمتها ، ثم ذكر من سماها ، ويظل المؤلف يساير مركب التاريخ في خطراته الى التتميم الاسلامي ، فيرى البطل الاسلامي خالد بن الوليد يشق للمسلمين الطريق الى حلب بعد حرب شعواء مع الروم ، ثم يمر بها ما يقرب من قرن من الزمان وهي تشهد عصر الأمويين حتى يسير مروان بن محمد — بعد مبايعة أبي العباس السفاح — منهزماً حتى عبر الفرات من جسر منبج ، ويبدأ عصر بني العباس وتظل المدينة الخالدة تشهد بعد قرن آخر معارك دامية بين جيوش أحمد بن طولون وولده من ناحية ، وبين العباسيين من ناحية أخرى الى أن تنتهي الدولة الطولونية وتبدأ الدولة الاخشيدية ثم يشرق على المدينة عهد زاهر حين يقوم الأمير ابي حمدان ، ونرى هذه المدينة وقد دخلها سيف الدولة الحمداني في سنة ٣٣٣ هـ ، فتعود حروب الإسلام مع الروم متجددة ، ويظل حلب مجد خالد يرفع شأنه الساران : السيف والقلم ، حتى ينطوي عهد الحمدانيين وتقع في قبضة المغاربة المصريين ، والمؤلف ينتقل بنا من عصر الى آخر حتى ينتهي الجزء الأول من كتابه بعد الكلام على المرداسيين حتى استيلاء محمود بن نصر بن صالح بن مرداس على المدينة في سنة ٤٥٧ هـ .

ومن يقرأ أسلوب الرجل التاريخي في هذا الكتاب يعجب للروح التربية كل القرب من الروح العلمي الحديث في تناول التاريخ ، ولذلك لم يكن عجباً أن يهتم المستشرقون بالرجوع الى ابن العديم حين رجعوا من « البغية » و « الزبدة » ونقلوا عنها ، وحين نشروا سنة ١٨٨٤ قسماً غير قليل من « البغية » في مجموعة الحروب الصليبية .

ولقد لقيت « الزبدة » من عنايتهم حظاً أوفر مما لقيته البغية ليسر الحصول على نسخها الموجودة في باريس وتفرق أجزاء « البغية » في مكتبات العالم . وقد أوضح الدكتور الدهان مختلف أطوار العناية التي لقيتها الزبدة ، ولكن ما نشره المستشرقون من فصول انتطعوها منها ، وما ترجموه الى اللاتينية أو الفرنسية أو الالمانية أصبح نادراً يعسر الحصول عليه علاوة على أن المنشور مبتور ، فنحن الحافز الوطني من ناحية والرغبة العلمية من ناحية أخرى ابن حلب الوفي ناشر الكتاب ومحققه الى العناية بهذا الأثر ، فبحث عن أصوله فكانتا مخطوطتين إحداهما في لننغراد تاريخها سنة ٨٦٣ هـ ، والأخرى في باريس تاريخها سنة ٦٦٦ هـ وهي أقرب الى زمن المؤلف إذ كتبت بعد وفاته بست سنوات ومنقولة عن نسخة بخطه ، غير أن احداث الزمن قد أصابت هذه النسخة

فعطلت على الكثير من محاسنها وصمت قرائح فاضطر الناشر الى الرجوع الى كتب التاريخ يستمدها كمال النقص وسد العيب وتصويب الأسماء الأعجمية والعربية والموازنة بين جل المؤرخين وصاحبهم وبين عبارة ابن النديم ، وأثبت كل ذلك في ذيل الصفحات ليثق « القارىء بما يقرأ ويؤمن بما يرد في الكتاب » .

حتى إذا بلغ الحرم الواقع بالنسخة ووقفت أمامه عبارة مكتوبة بخط متأخر « من هنا مفقود كراسة » حار ولم يستطع الحصول على نسخة لينقراد ، فرجع إلى مقدمة المستشرق فريتاغ لما نشره من الزيدة فوجد أنه قد وقع في مثل هذه الحيرة وانه أراد أن يتحرى كمال هذا النقص في نسخة لينقراد أيضاً فلم يوفق لأن النقص واقع فيها كذلك مما يثبت أنها منقولة عن نسخة باريس . ومع كل هذه الصعوبات فان الدكتور الدهان لم ييأس وعاد الى الكتب المتأخرة التي نقلت عن ابن النديم فصوّب عنها وأكمل منها ما نقص مما لا يختلف عن لغة الرجل وأسلوبه وسياق تاريخه .

ومن هذا يتجلى مدى العناية التي بذلها ومدى المشاق التي اعترضته فذللها حتى رد الى الكتاب روحه وبعثه الى الوجود قويًّا سليم الروح مستوي الملامح .

ولم يقف الأمر عند نشر نص الكتاب فحسب ولكن الناشر المحقق أضاف اليه هوامش متعددة لما يقابل الأخبار الواردة في الكتاب حتى يكون أمام القارىء عرض شامل لما كتبه المؤرخون ، إلى جانب الفهارس العديدة التي ذيل بها الكتاب .

وتحقيقات الأستاذ الدهان لما نشر من الكتب وما ينشر فروس جديرة بالالتفات اليها ، ولعل الجامعات المصرية تنتهز فرصة وجوده هذا الرجل في مصر فتنتدبه لالقاء عدة محاضرات في أصول النشر الحديث ، ينتفع بها الطلبة فيقبلون على نشر المطوي من آثارنا والمدفون المجهول من روائعنا .

مصرحامل المصري

التربية في الشرق الأوسط العربي

الدكتور أمير بقطر — صفحاته ٢٤٦ صفحة من قطع المقتطف وطبع بالمطبعة العصرية بمصر

الدكتور « أمير بقطر » قطب من أقطاب التربية الحديثة ، ونجم من نجومها المتألقة في الشرق العربي .

ومركزه كمدير لكلية التربية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ، يجعله خير واسطة للاتصال بين الشرق الناهض المتوثب ، وبين مهد التربية الحديثة في أمريكا زعيمة الثورة التربوية في العالم

والخلاصة لفنه ، وتوفره على عمله يجعله يترصد كل شاردة من النظريات الحديثة ، يتتبعها ليقدمها إلى قراء العربية ورواد التربية في هذه البقعة من الشرق .

وكتاب اليوم ليس كتاباً بالمعنى المعروف ، ولكنه سجل دقيق حافل للحركة التربوية الناشئة في هذا الشرق العربي ، وبقدر ما فيه من الدقة والضبط والاحكام ، فقد استوعب كل ما يمكن أن يعرف عن الجهاز التعليمي ، والأداة الثقافية في هذه البلاد على شتى نزعاتها وتباين مصادر التوجيهات التي تحدد أهداف الثقافة فيها .

ولهذا الكتاب قصة تبدأ فكرتها الأولى في أمريكا وتكتب فصولها ستة بلاد عربية ثم يرفع الستار عنها هنا .. في القاهرة .. فما قصة هذا الكتاب ؟ وكيف ظهر إلى الوجود؟ لقد طلبت الحكومة الأمريكية أن يكون لديها سجل واف عن الطلاب العرب الذين يبعثون اليها من مختلف بلاد الشرق العربي ، ليكون أساساً يهتدي به في وضعهم مواضعهم من جامعاتها ومعاهدها ونبراساً ترسم في ضوئه سياستها في تبادل الطلاب بينها وبين تلك البلاد

فكلفت مجلس التعليم الأمريكي بواشنطن القيام بهذا العمل فعهد الى الدكتور « ووديريك ماثيوز » أستاذ التربية بجامعة « بنسلفانيا » ، والدكتور « متى عقراوي » مدير التعليم العالي بالعراق والمنتدب للعمل بقسم التربية « باليونسكو » ، يؤازرهما الأستاذ امام عبد الحميد من موظفي الجامعة العربية — فقاموا بدراسة مستوعبة لهذا الموضوع.

وفي سبيل ذلك « قطعوا ألوف الأميال ، وزاروا مئات المدارس واتصلوا بعدد كبير من موظفي الحكومات ، وحصلوا منهم على معلومات إحصائية ، وصور من اللوائح والقوانين ، والمناهج الدراسية ، ونجحوا إلى المعلمين ، ووقفوا على أحوال الطلبة ومدى استجاباتهم للتعليم ، وطرق التدريس ، والمعاهد ومقدار كفايتها من الأساتذة والأدوات والعوامل .. »

واستمروا قرابة سنوات ثلاث يدرسون ، ويناقشون ، ويقارنون حتى تصفوا هذه الدراسة ، وخرجوا بهذا التقرير الضافي الذي أصبح أساساً ثابت الدعائم لتعاون الثقافي الدولي ، ومرجعاً حافلاً ممتعاً لدراسة التربية المقارنة في البلاد العربية دراسة خصبة منتجة تتيح الفرصة لتقريب وجهات النظر ، وتوحيد الأهداف الثقافية في هذه البلاد المتقاربة النزعات والعواطف ، المتحدة الأهداف والآمال.

ونستطيع أن نتبين ما يعنيه هذا الكتاب حين نقرأ سطوره الأولى : — « لما كان الفرد بالتربية ، والأمة بأفرادها ، فان نوع التربية التي يتلقاها النشء في العالم العربي اليوم ، ينبيء بنوع العالم الذي سيعيش فيه غداً . وما يفكر فيه زعماء الأقطار العربية ، وما

بصحون إليه اليوم — خصوصاً فيما يتعلق بنوع التعليم وفروعه — يلقي ضوءاً ساطعاً على المستقبل الذي تترقبه ، وتدل هذه القوائم والقرائن على شدة العناية بالتربية ، سواء بالكم أو بالكيف . على أنه لابد من التسليم بأن تحويل المطامح إلى ضرائب لتمويل التعليم عملية بغيضة في البلاد التي تعيش على الزراعة ؛ وما تكاد تتنسم من تلك هذه الكلمات تلك الرائحة التي تنبعث لها أنوف الشرقيين — رائحة التدخين في شوارع التي يتشوقها ويألفونها .. حتى يكون البحث صريحاً واضحاً ، ينبي عن نفسه النتيجة ، ورد اعتبار الشعور العربي بهذه الكلمات الصريحة الواضحة : —

«ولما كانت هذه البلدان (العربية) ليست صاحبة الفكرة في هذه الدراسة ، فقد رأى القائمون بها أن يكون الكلام عن التعليم فيها وصفياً عارياً عن التقدير ، مجرداً من النقد ، حريصاً على تجنب كل ما يشتم منه وزن النظم المختلفة في الموازين ، أو قياس المدارس بالمقاييس أو التعرض لتقديم مقترحات بشأن هذه أو تلك . . » .

ثم يمضي الكتاب نحو الهدف المرسوم ، فيدرس في هذه البلاد : نظم التربية وإدارتها ، والتعليم العام ، والتعليم الثانوي والفني ، والتعليم العالي والبعثات التعليمية ، ومعاهد اعداد المعلمين ، والمدارس الحرة والمؤسسات الأجنبية وأثرها في الثقافة الوطنية . كل ذلك في تدرج منطقي سليم تدعمه الأرقام المستقاة من أصدق مصادرها ، مع أحدث الاحصائيات مفرغة في جداول دقيقة تؤيدها الصور والرسوم التوضيحية والبيانية . حتى إذا انتهى من كل ذلك الى الغاية المرسومة ، واستوعب هذه النظم في مصر وسوريا ولبنان والعراق وشرق الأردن وفلسطين كتب فصله الأخير عن « التعليم والتطور الثقافي في العالم العربي » وهو فصل أقل ما يقال فيه « إنه جدير أن يكتب بماء الذهب » .

هذا البحث الدقيق المستفيض لم يقدر لكاتب أو لمؤلف أو هيئة علمية في البلاد العربية أن تقوم به ، أو تفكر فيه ، لقلة الرغبة وانعدام الوسائل ، ولأن الحقيقة المرة المؤسفة : إن أي مفكر عربي لو فكر في مثل هذا المجهود ، فلن يلقى الوسائل التي تشد أزره ، وتخصبها المادة ، وإن وجد فلن يقوى على احتمال المصاعب ، وإذا احتمل فلن يغفر جسارة المسئولين في البلاد العربية ، وإذا ظفر فلن ينجو من الاتهام المغرض !

ولكن مجلس التعليم الأمريكي قد استطاع أن يصنع المعجزة ، فخرجت على الناس في هذا السفر القيم ، وكان من حق القراء في الديار العربية أن يتأملوا صورهم في هذه المرآة ، ومن حق المكتبة العربية ألا تحرم هذه الدرة الغالية — على ندرة ما فيها من مراجع في

هذا الموضوع — فما يزال مكان هذا السفر خالياً في مكتبة التربية العربية وقد يجيء غير المترجم الفاضل ، فيتولى نقل هذا العمل الجبار الى اللغة العربية بأسلوبه السلس الرصين ، فيجدنا — في تواضع — أنه « قد تمشى مع الأصل جملة جملة ، وسطراً سطراً ، . . وكلمة كلمة حتى استقام له المعنى » وعلى الرغم مما صادفه في عمله من صعوبات أتت اختلاف المصطلحات العلمية ، والتسميات النباتية لمدارس ومراحل التعليم وأسماء الامتحانات والشهادات باختلاف مصادر الثقافة العربية الحديثة — فقد جاء الأصل والترجمة « كالسماء وخيالها في المرآة » . فما أجمل السماء ، وما أبدع خيالها .

وقد علق على المترجم تعليقات قيمة ، تشير إلى بعض المراجع ، أو توضح ما غمض أو تتابع التطورات السريعة التي تمت بعد كتابة هذا البحث ، غير أن بعضها لم يكن دقيقاً بالقدر الذي عرف عن الدكتور «بقطر» ، بل على العكس كان الأصل في بعض الأحيان أدق من التعليق وأخص بالذكر مركز كلية « دار العلوم » ، فالأصل يشير الى أنها «قد ضمت إلى جامعة فؤاد كإحدى كلياتها » ص ١١٩ ، ولكن الدكتور يصر على أنها قد ضمت إلى كلية الآداب ، وهو خطأ مع سبق الاصرار ، إذ يذكره في صحيفة ٢٨ ، كما يكرره في صحيفة ١٢٣ ، وبالرغم مما فيه من خطأ فإنه يغضب أبناء دار العلوم الذين جاهدوا جهاد الأبطال حتى اعترفت الجامعة بها كلية مستقلة لدراسة اللغة العربية والشريعة الاسلامية» وهي لا تمنح خريجيها « بكالوريوس» كما يدعي الدكتور ص ٨٧ ولكنها تمنحهم « ليسانس في اللغة العربية والدراسات الإسلامية » . وأنا أخشى أن يعتبر « الدرمبرن » هذه الأخطاء مقصودة من الدكتور فيطالبه بالتعويض !

وكنا نود أن يتابع تعليقاته على الأصل في بعض المواضع ولكنه تركها عند الحاجة اليها ، ففي صحيفة ٨٠ يزعم الأصل أن ليس للبنات أي نوع من التعليم التجاري على حين أن التعليم التجاري (الثانوي والمتوسط للبنات) سابق لتاريخ هذا البحث .

كما ترك الأصل على تخليطه واضطرابه فيما يختص بالجامعة الأزهرية ، وشؤون الأزهر وهيئة كبار العلماء . وكما أن بعض الجداول والاحصاءات والرسوم التوضيحية قد بعدت في بعض الأحيان عن مراميها الطبيعية التي جاءت لتوضيحها .

وبالترجمة بعض الأخطاء اللغوية التي كان لا بد أن يند عنها النظر في كتاب ضخم كهذا وهي لا تبلغ أن تسمى أغلاطاً ، لأنها تظهر للنظرة العابرة ولا تخفى على القارىء العادي .

ويكفي أن يعرف القارىء أن هذا السفر يضم بين دفتيه ٧٤٦ صحيفة من القطع الكبير

و٤٧ صورة و ١٤ رسماً مصوراً و ٩٢ جدولاً وأنه مطبوع طبعاً أنيقاً . وأنه حتى يفسح صدره لما قد يفلت من أخطاء صغيرة . وهو لكل هذا مرجع لا بد منه لطلاب التربية ومعاهدها في العالم العربي وضرورة لا غنى عنها للمكتبات المدرسية والعامة، ومتعة للمثقفين عامة والمشتغلين بالشرق الثقافية والعربية بنوع خاص .

ولا أستطيع في هذه المجالة أن أجول بالقارىء في ثنايا هذا السفر الممتع فأتركه ، وأترك معه صفحات المقتطف لرجال التربية في البلاد العربية ، يتناولون منه ما تضطرب به ديارهم في مراكب الثقافة ، وقوافل الفكر .

وضران ابراهيم

درجات الناس عند الملوك

تأليف فضيلة الشيخ طه الساكت — صفحاته ١٦٠ — طبع بمطبعة أمين عبد الرحمن بمصر

هذا كتاب لا أكون مغالياً إذا قلت إنه فريد في اتجاهه وتأليفه وتنسيقه وجمعه لمؤلفه الفاضل، استاذ عالم عامل مجده له مواقف مشهودة في الدفاع المخلص عن هذا العرش السديد الذي عد بحق من جنده المخلصين الذين يجدون لذة في هذا الجهاد الطيب المريع الذي يفيء الاسلام ويعزبه بنوه الذين سيذكرون ما لهذا المؤلف من أثر بارز في هذا اللون من ألوان البحث الشائكة التي تحتاج الى مال ووقت وكد وتعب في سبيل ابراز ما يختمل في فكر الباحث المدقق الى الوجود الذي سيحمد له ما لاقاه في بحثه من أهوال وصعاب ... فالشيخ الساكت قد عرض في هذا المؤلف النفيس جانباً من آثام الامم وما حل بها من النكبات والنقم ، وضرب أمثلة شتى من مختلف الصحف وأقوال الباحثين والذين تعنيهم هذه الناحية ووصف أدواء مختلفة لهذه العال وتلك الكارثات التي كثيراً ما تعصف بالامم وتحاول أن تقل من بنيان الاسلام الاشم .

وإن تعجب فاعجب لصنيع المؤلف الفاضل فقد أبت نفسه الكريمة إلا أن يهدي كتابه هذا الى الملوك والعلماء والقادة متحملاً فوق طاقته العلمية ما أنفقه في سبيله من مال وجهد، وحق له أن يفعل هذا لانه أفنى فيه زهرة عمره ومهجة فؤاده فما كان له بعد ذلك أن يبيعه بعرض من الدنيا — كما قال — والا كان أخسر التجار صفقاً ، ولا أن يهديه لغير أهله والا كان أسفه الناس رأياً» .

وفق الله مؤلفه الفاضل إلى ما فيه الخير وأرشده الى الصواب وجعله نبراساً يضيء أمام الذين يريدون الخير لهذه الأمة التي يجب أن يكون لها من بنيها مرشد مخلص، وهاد أمين ، يبعث ذلك التراث السامق ، ويمسح غبار الزمن عن هذا المجد الذي نعيش له ونجاهد من أجله ، ونموت دونه .

أبو طالب زيان

باب الأخبار العلمية

كشف أثري بالواحات الخارجة

الرياح تكشف عن مدينة رومانية

من عهد الامبراطور ماركوس اوريليوس

يلاحظ المتنقل بين فيافي الواحات كثيراً من الكثبان الرملية الناصعة، تتحرك وتتنقل من جهة الى اخرى، نتيجة هبوب الرياح. كما أن قرى الواحات كثيراً ما تحاصرها هذه الرمال فيهجرها أهلوها الى مكان آخر.

« القرد » ويطلق سكان الواحات على هذه الرمال لفظ « غرد » وأخيراً لاحظ حارس الآثار خلال مروره بمنطقته، وجود مبان ظاهرة على سطح الأرض في ارتفاع بسيط لم يتسن له ان يراها في مدركه. وذلك في بقعة تبعد نحو ١٨ كيلو متراً من الواحات الخارجة في اتجاه قرية المحاربق بمنطقة قاحلة في وسط الصحراء تسمى التراكوة، وكان ظهورها نتيجة لتحرك الرمال عنها وانتقالها لجهات أخرى.. وبعد مئات السنين.

« قاعات أثرية » وقد أسرع الاستاذ راشد نوير، كبير المفتشين والاستاذ ابراهيم عبد العزيز مدير الاعمال بمصلحة الآثار المصرية، الى هذا المكان اذ كان يزوران الواحات في ذلك الوقت. لاتمام الهندسة يقوم بترميم معبد هيبس الكبير بالواحات الخارجة منذ ثلاث سنين. وبمساعدة الريس حبشي ومعاه أمكنهم إزاحة الرمال عن المباني في جو عاصف، فتبين أنها عبارة عن ثلاث قاعات مستطيلة بأسفلها قاعات أخرى يحتمل أن تكون مقابر. وهذه القاعات جميعاً بنيت بالحجر الرملي الأصفر، وبها نقوش هيروغليفية يدرسها الآن الاستاذ راشد، كما عثر في حائط أحدى القاعات على كوة مستطيلة الشكل، في هيئة بوابة معبد كانت مخصصة لوضع تمثال أو بعض القرابين فيها. أما أبواب هذه القاعات فكانت مسدودة بأحجار وبلاط.

« مدينة ومعبد » وبالرغم من صعوبة المواصلات في هذه البقعة النائية، فقد أمكنهم الكشف عن فناء كبير أمام هذه المقاصير، ثم على بعد نحو خمسين متراً منها عثر على بوابة كبيرة (بيلون) من الحجر الرملي مطمورة في الرمال، وهذه

البراية لابد أن تكون مشغلاً للعبد ، وبخاصة أنها تشبه احدى بوابات معبد فيس كما ثبت أنه توجد هناك مدينة رومانية تحت الكثبان يمكن ملاحظتها من تعرج سطح الرمال وتشكله .

« القصر » ومن أهم المباني التي كشف عنها بالقرب من المعبد ، قصر كبير من الطوب اللبن ، ذو أعمدة ضخمة مربعة بعقود تحمل قباباً من الطوب أيضاً تشبه في طريقة انشائها وتكوينها المعماري مباني البحيرات (البرابات) المشهورة المقامة على هضبة عالية بالواحات الخارجة ، كما عثر على درج في القصر يفضي الى دور سفلي .

« سور ضخم » ويرجح أن تاريخ هذه المدينة الرومانية يرجع الى أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الميلادي ويحتمل أنها من عصر الامبراطور الروماني الفيلسوف مرقس اوريليوس ، أكثر الأباطرة حكمة واتزاناً ، والذي اشتهر بتواضعه وميله للتقشف ومما يذكر أن بالواحات الخارجة بعض آثار عليها أسماء لملوك من عائلة هذا الامبراطور ، منهم أنطونيوس التي وكرموديوس ابنه .

•

« الآثار بالواحات » ولا شك في ان هذه المدينة المكتشفة حديثاً هي احدى المدن الكثيرة المطمورة في الصحراء الغربية وازدهرت كثيلاتها ، في وقت من الأوقات كانت فيه الواحات مناطق خصبة ومراكز هامة للتجارة ، ولقد زاد اهتمام مصلحة الآثار المصرية بآثار الواحات فأنشأت بها قسماً لبحوث الصحراء يرأسه الاستاذ أحمد فخري ، كما أن سعادة شفيق غربال بك زار آثار الواحات غير مرة .

آلات مصورة تكافح أمراض القلب

اخترعت حديثاً آلتان مصورتان « كاميرا » يتوقع الخبراء أنهما ستعاونان الانسان ، على مكافحة أمراض القلب ، فتقوم احداهما بتسجيل الأصوات التي يولدها القلب البشري ، تسجيلاً منظوراً .

وتقصد بها الأصوات الخافتة التي لا تستطيع اذن الطبيب سماعها وعندما يقصد الطبيب استعمال هذه الآلة ينبغي أن يضع ميكروفوناً صغيراً فوق قلب المريض فيلتقط ذلك الميكروفون ، الأصوات الناجمة من قلب المصاب فيضخمها ثم يحولها أشعة ضوئية . وذلك بصمامات كهربية مشحونة بكهربة سلبية . وفي الآلة شريط متحرك يسجل مسير الأشعة المشار اليها . فينتج من هذا ، صورة نموذجية لصوت قلب المريض . أما الآلة المصورة الأخرى

فتوصل بجهاز الالكتروكارديوغراف حيث تسور نبضات القلب أي الارتفاع والانخفاض اللذين يحدثان في التيار الكهربي المتولي ويسجل هذا العمل كله على فيلم يستحلى وينشت ويغسل ويجفف في أربع دقائق فينتج منه سجل ناجح مطبوع يبين حالة قلب المريض

جهاز جديد لمساعدة العميان

ابتكر الدكتور هيز كالمان من تيوبيروك جهازاً جديداً يساعد العميان على السير في الطريق بدون الاعتماد على عصا أو كلب بل يستعمل في جهازه الاشارة التي ترسلها الاشياء فتدل الاعمى على ماهيتها ومدى بعدها أو قربها منه. ولا يتجاوز حجم هذا الجهاز حجم أداة تصوير صغيرة ومن الميسور تصغيرها ليتيسر حملها في الجيب

وفي أول الأمر كان التفكير يتجه الى تقليد الخفاش في طريقة التي تخطره بأي شيء في طريقه فان الخفاش وهو طائر يعمد الى الصراخ فيحدث صوته موجودات اذا صدمت جسماً عادت الى الخفاش مرة ثانية فعرف أمره وحاد عنه ..

وفكر الخبراء في استغلال هذه الخاصية بأن يحمل الاعمى جهازاً يرسل موجات راديو أو ضوء تعود اليه مجسة بجهاز آخر فتخطره بمكانها، ولكن الدكتور كالمان رأى أن مثل هذا الجهاز لا يمكن تصغيره وحمله بسهولة ولهذا فكر في الاستعانة بالاشياء التي ترسلها الاجسام نفسها. وأهم أجزاء هذا الجهاز عدسة جامعة تحدد مكان الشيء بالضبط تبعاً لوضوحه منها فتعكس هذه الموجات الى أصوات تختلف باختلاف بعد الشيء عنها وترسلها الى أذن الاعمى فيعرف ما حوله.

ومن الضروري لاستخدام هذا الجهاز أن يعرف الاعمى لغته ويتدرب على فهمها ويقول مبتكرها أنها تستخدم ٨ أصوات تبين الأشياء التي في متناول اليد أو على بعد ١٥ قدماً من الجهاز ومنها ما يرشده في حالة صعود السلم أو هبوطه.

•

ومن مزايا هذا الجهاز أنه لا يرى في الظلام ويمكن استخدامه بإضاءة شمعة أو مصباح كهربائي صغير ويقدر ثمنه بنحو ٢٥ دولاراً وكل نفقات تشغيله بطارية للتشغيل جهاز الصوت وهذه تكلف مستخدم الجهاز نحو ٢٠ سنتات في الشهر.

وقد أعلن كالمان أنه مستعد للتنازل عن حقوق الاختراع أو الربح من جهازه فكل ما يرجوه هو خدمة العميان الذين يبلغ عددهم ٢٥٠,٠٠٠ أعمى في أميركا وكل ما يرجوه ان تعاونه شركات انتاج أدوات ضبط المسافة للمساعدة في توفير هذه الأجهزة لمصلحة العميان.

زرق العيون وسرطان الشمس

هذا تحذير يوجه الدكتور فلنتر هول من جامعة كاليفورنيا الى الشقر ذوي العيون الزرق ، فهم أكثر تعرضاً للسرطان اذا ما لفحتهم الشمس من غيرهم ذوي العيون السود أو العسلية . وقام بدراسة عميقة على مائة شخص حتى خرج بهذه الصلة بين السرطان ولون العيون ، ثم قال في تقريره القيم « تدل الشواهد والملاحظات على أنه كلما كان اسلاف المرء ذوي عيون بنية غامقة كانوا أمنع على الأشعة التي تسبب السرطان. أما الأطفال زرق العيون الذين انحدروا من اسلاف يعاملونهم في هذه الرقعة ، فهؤلاء أضعف مقاومة وأكثر تأثراً وتعرضاً للسرطان ، لكن الكثيرين من هؤلاء اذا ما دبتهم الشمس ، دون أن يتكرر لفحها وحرقها ، يكتسبون من المناعة والمقاومة ما يحفظهم من شر هذا المرض اللعين .

آلة تصور باطن العين

يستطيع الأطباء الآن تصوير باطن العين وذلك بآلة تصوير فوتغرافية « كاميرا » فائقة السرعة تصور صوراً ملونة أو سوداء أو بيضاء تبين دقائق شبكية العين وخيوط أعصابها وغيرها من العناصر الداخلية لحاسة البصر . ولهذه المصورة عدسة بؤرية مستطيلة جداً أشبه بتليسكوب .

كرة من البلاستيك تتنبأ بالجو

في مدينة مينابوليس بأمريكا يستطيع الناس أن يعرفوا الجو وتقلباته بمجرد أن يرفعوا النظر الى كرة من البلاستيك مضيئة ترتفع عالياً فوق المدينة . فلقد زودت تلك الكرة في داخلها بأنابيب من النيون تلمع مضيئة بألوان مختلفة ، ولكل لون ما يعنيه وما ينبيء عنه ، فضوء باللون الأحمر فتدل على موجة حرارة قادمة ، وتنبيء باللون الأبيض فتنذر بالبرد ، وهي خضراء زاهية اذا لم يكن هناك ثمة تغير في الحالة الجوية أما اذا ارتعش الضوء وخفق فتلك دلالة المطر والجليد .

ولقد جهزت الألوان ونظمت على أن تتفق مع التقارير والنشرات التي تصدرها مصلحة الارصاد الجوية بالمدينة . وتلك الكرة التي تعلق بها أبصار الناس في غدوهم ورواحهم اذا رفعت على مصرف كبير في المدينة ، استطاع بتلك الوسيلة أن يجذب الأعين والاهتمام ، فكانت طريقة جيدة مبتكرة للدعاية والاعلان .

الفهرست

للجزء الثالث من المجلد الثامن عشر بعد المئة

٢٢٩	محنة الأدب المعاصر	للأستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي
٢٣٩	الطراز الوراثية لدم الانسان	للأستاذ أمين توفيق
٢٤٣	وحدة القصيدة في الشعر العربي	للأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي
٢٤٩	الصابرون « قصة »	للأستاذ شكري باشا شعشاعة
٢٥٣	نظرات في النفس والحياة — تابع نظرات السير هلبس	للأستاذ ع . ش .
٢٥٦	تطور الموسيقى في سورية خلال نصف قرن — ٢ —	للأستاذ ميشيل الله وردي
٢٦٠	ولدي « قصيدة »	للأستاذ عدنان مردم بك
٢٦١	العناصر المعدنية في جسم الانسان	للأستاذ اسبيرو جبري
٢٦٥	نحن واللغة العربية — ٣ — في مصر	لمعالي الأمير مصطفى الشهابي
٢٧٠	المخترعات المرتقبة في النصف الآتي من القرن الحالي	للأستاذ عرفان جدي
٢٧٤	الطليوسي	للدكتور محمد يوسف موسى
٢٧٨	علم الحكومة العالمية — ٢ —	للأستاذ صلاح الدين الشريف
٢٨٤	فلسفة الأدب	للأستاذ عبد السلام رستم
٢٨٧	رلال الحمل	للدكتور عبده رزق
٢٩٠	[باب المراسلة والمناظرة] : أزتريا الجديدة —	للدكتور أحمد زكي أبو شادي
٢٩٠	التقديم الزراعي — لشهر مارس	**
٢١٣	مكتبة المقتطف : زبدة الحلب من تاريخ حلب : عرض وتحليل	للأستاذ
	حسن كامل الصيرفي — التربية في الشرق الأوسط العربي :	للأستاذ رضوان
	ابراهيم — درجات الناس عند الملوك :	للأستاذ أبو طالب زيدان
٣٠٤	[باب الأخبار العلمية] : الرياح تكشف عن مدينة رومانية . آلات مصورة	
	تكافح أمراض القلب . جهاز جديد لمساعدة العميان . زرق العبرن وسرطان	
	الشمس . آلة تصور باطن العين . كرة من البلاستيك تنبأ بالمطر .	**